إبداعات عالمية



330

مسرحية

محكمة العدل في بلخ



تأليف

بهرام بيضائي

ترجمة

د. محمد التونجي

مراجعة

د. فكتور الكك

سلسلة شهرية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

يونيو 2001



محكمة العدل في بلخ

«مسرحية»

تأليف:

بهرام بيضائي

ترجمة:

د. محمد التونجي

مراجعة:

د. فكتور الكك

العدد 330 يونيو 2001

إبداعات

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	**500** فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولاراً أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	**10** د.ك
للمؤسسات	**20** د.ك

دول الخليج

للأفراد	**12** د.ك
للمؤسسات	**24** د.ك

الدول العربية الأخرى

للأفراد	**25** دولارا أمريكيا
للمؤسسات	**50** دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	**50** دولارا أمريكيا
للمؤسسات	**100** دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب: **28623** - الصفاة - الرمز البريدي**13147**
دولة الكويت

ردمك ٧ - ٠٥٩ - ٠ - ٩٩٩٠٦
ISBN 99906- 0- 059-7

محكمة العدل في بلخ

العنوان الأصلي
ديوان بلخ
مجموعة نمايش

الطبعة الأولى - الكويت
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 2001م
إبداعات عالمية العدد 330

صدر العدد الأول في أكتوبر ١٩٦٩م
تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها : أحمد مشاري العدواني
(١٩٢٣-١٩٩٠)

● غلاف العدد لوحة« نميمة»
للفنان الكويتي صفوان الأيوبي .

مقدمة

الكاتب وأسلوبه

بهرام بيضائي روائي ومسرحي، من أعلام الأدب الإيراني في الخمسينيات من هذا القرن. برز بين أدباء عصره بغزارة إنتاجه ووفرة عطائه. وقد عده النقاد في طليعة مؤلفي الفن المسرحي والتمثيلي في إيران. كتب أكثر من عشرين مسرحية مُثِّلت على مسارح المدن الإيرانية مراراً، وما زالت تشهد رواجا كبيرا في دائرة الفن المسرحي. كما كتب عدداً من التمثيليات التي أذيعت في الراديو، ومن ثَمَّ مُثلت في التلفزيون.

أما في مجال السينما فكان علما يشهد له النقاد، سواء في كتابة القصة أو صياغة السيناريو .. بل إنه كان يضع السيناريو ويطبعه استعداداً لعرضه على الشاشة. حتى بلغ عدد السيناريوهات التي كتبها أكثر من ثلاثين، لقي قسمها الأعظم رواجاً كبيراً بين القراء ومشاهدي السينما.

بدأ بهرام بيضائي عمله الأدبي كاتباً روائياً فذا، فنشر مجموعة من الروايات، ثم ناقداً اجتماعياً وسياسياً يلتقط عيوب مجتمعه فيبسطها بسطا نقدياً في غاية من الواقعية. وكتب عدداً من الروايات الأدبية والتاريخية، تحول كثير منها إلى مسرحيات تلقَّفتها الفرق المسرحية والشركات السينمائية. إضافة إلى مجموعة من الدراسات النقدية الناضجة.

ومن الجدير ذكره أن بهرام بيضائي أولى الأطفال والناشئة اهتماماً خاصاً، إذ إنه رأى أن هذه الشريحة العزيزة من المجتمع تمثل جيل المستقبل، لذا يجب أن يُغذَّي فكرياً منذ يفاعته.. ولذلك رأيناه يكتب عشرات التمثيليات لمسرح العرائس ولمسارح المدارس.

وهذا يؤدي بنا إلى تقدير المؤلف، واعتباره كاتباً تشرَّب العمل المسرحي تشربا لا يمكن إغفاله، وبالتالي يدل على تمكنه وقدرته حين يكتب للكبار وللصغار على السواء. والأمل المنشود الآن أن يعاد نشر مجموعاته وأعماله كاملة ليفيد منها الأجيال القادمة.

ولقد تتبع بهرام بيضائي زمانه وواقعه، وتحسس عيوبه وأدواءه، وربطهما بالماضي، حيث إنه كان يصور واقعاً يحياه مجمعته بمرآة ماض ملموسة وقائعه، أو مبتدعة خيالاته. وساعده على هذا الربط الموفق خياله الخصب البعيد المرمى، وثقافته التاريخية الواسعة، وقدرته على إقناع المشاهد بأن ذلك الخيال (الماضي) هو الواقع نفسه (الحاضر).. على طريق الرمز. وهذا ماجعل أغلب أعماله الفنية تنجو من بين أيدي الرقابة والتفتيش.

أما اللغة التي كان يكتب بها، فقد تراوحت بين الأدبية الفصيحة الراقية، والعامية المغرقة في عاميتها. فهو إذا كتب رواية أو سيناريو كي يطبع في كتاب اتخذ الرصانة والفصاحة مسلكاً ، وهو إذا كتب مسرحية تمثل على المسرح كانت العامية المغرقة في عاميتها وسيلة، مراعياً بذلك طبقة المشاهدين. بل إنه يستخدم المتطرف من الألفاظ أحياناً، وبلهجة المنطقة التي ينطق بها شخوصه، حتى ليصعب على أدباء الفارسية فهمها أحياناً.

ولا أستطيع الادعاء بأنني في ترجمتي لبعض أعماله كنت قادرا على فهم تلك المفردات العامية والمصطلحات الشعبية. لذا كنت أرجع إلى بعض الأدباء من ذوي اللسانين، ممن تربطني بهم روابط المودة. وإنني في أسلوب هذه المسرحية أعترف بأنني أثقلت كاهل صديقي الأستاذ الدكتور عبدالمهدي ياد كاري الأستاذ بجامعة طهران. وعلي أن أسجل له الشكر مدونا، وأعلن له المحبة عربونا.

ولما كان حديثنا حول الأسلوب والمصطلح فعلي أن أشير إلى أن مصطلحات الشعوب تختلف في مؤداها كثيرا بين أمة وأخرى. وكثيرا مايصعب على المترجم أن يختار رديفا للمصطلح اختيارا حرفيا، لعدم إمكانية المطابقة أحيانا، على الرغم من الارتباط الوثيق بين العربية والفارسية. ولهذا حاولت ترجمة بعض المصطلحات العامية بما يدنو من مصطلحها في العربية، أو يكاد.

وصعوبة لغوية أخرى اعترضتني، وهي أن أنقل النص المكتوب بالعامية المفرطة إلى لغة عربية فصيحة، تناسب الأداء الأسلوبي للمسرح العربي. وهذا عمل أسلوبي شاق آخر، حاولت تذليله هنا، أملا في الوصول إلى الأفضل.

الهدف والرمز

لكل مسرحية هدف يحدده المؤلف، ويصبو إلى تحقيقه. ويسعى إلى إبرازه بأسلوبه، وشخوصه، ومشاهده، ورموزه أيضا.

ولبهرام هرضائي رسالتان تكادان تكونان بارزتين في كل

أعماله المسرحية هما:

١- نقد المجتمع الذي نبع منه وعايشه، وإظهار عيوبه وتضخيمها كي يسعى إلى تلافيها.

٢- نقد الحاكم الذي يحكم هذا المجتمع، والتوقف عند عيوب أهمها: الرشوة، والجور، والتعسف، والإجحاف.

وسنرى أن المؤلف قسم ممثليه إلى فئتين أيضا.

إن المؤلف قد لايعمد إلى العرض النقدي بصورة مباشرة، إما خوفا من تقريع الحاكم له، وإما لإحساسه بالعيب الفني حين يخاطب الجمهور خطاباً مباشراً. فنراه يرتاح إلى التاريخ القديم، ويتوقف عند أحداث شبيهة بما يهدف إليه، ويصور واقعه، ويؤدي هدفه. وقد أحسن المؤلف باختيار التاريخ الإيراني والتاريخ الإسلامي لرسم شخوصه، وتحريكهم بحواره.

اختار المؤلف في مسرحيته هذه «محكمة العدل في مدينة بلخ» مدينة بلخ مسرحاً لنقده السياسي. وبلخ كانت مدينة فارسية تقع في منطقة خراسان في شمال شرقي إيران واليوم تقع في شمال أفغانستان، وقسم منها يقع في تركستان. وقد كانت المدينة مشهورة جداً في الماضي، حتى عُدت قصبة خراسان كلها قبل أن تكون مدينة «مشهد» هي قصبة خراسان اليوم.. أما اليوم فهي مدينة صغيرة غير ذات أهمية.

اختارها المؤلف لتكون مسرحاً لأحداث تصوّر أنها جرت هناك،

وأنها تحيا بين نقيضين، حاكم ظالم مع زبانية له يسيرون على هواه وهواهم، وشعب مقهور يبحث عن رغيفه، فلا يكاد يحصل على لقمة العيش إلا بشق النفس.

ومع أن القصة خيالية زماناً، فإنها واقعية تلمسها الكاتب بنفسه، فبسطها بقلمه. فهو يتصور أنها وقعت في زمان مضى غير محدد، إلا أنه رمز لها بالماضي واقعا مريرا، يحياه أغلب سكان شعبه، وهم يتلوّون تحت سياط الجور والتعذيب وسلب الأموال بغير عدل، يتسلط عليه شرزمة لاهمَّ لها إلا العبث بمقدرات الناس، وبأموالهم، وبعفّة نسائهم، وأعراضهم.

فالمسرحية نقد الواقع الحاضر بصورة الماضي الغابر، متخذاً الرمز وسيلة. ومن أبرز الرموز:

القاضي رمزا لفساد العدل.

رئيس المخفر رمزا للسلطة الظالمة التي تجني من الشعب ما يحلو لها من أموال وأعراض.

كبير العسس رمزا للرشوة المتفشية والعبث بمقدرات الشعب وأمنه.

حيدر رمزا لثورة الشباب اليقظ ضد الظلم.

مرجان رمزا لعفاف الشعب المسلم وطهره.

خدا بخش الرمز الأكبر.. رمزا للشعب المقهور النابع من الواقع المرير، منذ كان حمالاً، بل منذ كان غافياً لا يعرف ما يجري حوله.

شخوص المسرحية

من النادر أن نجد مؤلفاً مسرحياً يضع على دفة المسرح قرابة خمسين ممثلاً في مشهد واحد، ويستطيع تحريكهم وإنطاقهم بتوفيق يكاد يكون كاملاً. وقد تهيأ لبهرام بيضائي أن يحرك أكثر من خمسة وأربعين ممثلاً وممثلة، ويُحسن ربط الحوار بينهم، ويجيد تنقلهم وتحريكهم. وقد أوجدهم من مخيلته، ورسمهم بناء على هدفه، وصوّر بهم الواقع الذي أراد كشفه.

صحيح أن كثيراً منهم لم يكن لهم اسم ، لكنهم على أية حال لم يكونوا نكرات لا يؤبه لهم . كما لم يوضعوا في مواضع غير مناسبة.. وأحسب أن هؤلاء النكرات، سواء كانوا على المسرح، أو من خلف المسرح، لو حذف واحد منهم لبان عيب العمل الفني، ولبان كالبنيان المحكم الذي نقصت منه لبنة محكمة مهمة، قد تؤدي بالبنيان إلى التزعزع.

وإذا كان الممثلون النكرات أو أنصاف النكرات لا بد منهم في مسيرة المسرحية، فبدهي أن يكون للممثلين الأساسيين - وهم النصف تقريباً - ضرورة ودور بحيث لا يمكن التغاضي عن واحد منهم.

وقد استطاع المؤلف أن يسيِّر هؤلاء الخمسين ببراعة واقتدار، غير أنه وظّفهم توظيفاً محدوداً ذا شقّين:

١- ممثلون يصورون الفساد، وهم الطغمة العسكرية المتسلطة.

٢- ممثلون يصورون القهر الذي حاق بهم.. وهم أفقر الناس.

المشاهد وحركة الزمان

جعل المؤلف مسرحيته الطويلة من فصلين، ومن عدة مشاهد هي في حقيقتها مشهد واحد لا يكاد يتغير إلا بإضافة بعض الأشياء اللازمة، وحملها حين الانتهاء من الموقف، كقدوم البائعين وبسط بضاعتهم في الصباح، ثم حملهم لها عند انصرافهم قبيل الغروب.

وقد اختار من مدينة بلخ ساحة شعبية تقع في وسط المدينة، حيث يتوافد عليها الباعة والمتجولون نهاراً، ويقلون ليلاً.. واختار محكمة العدل مطلة على هذه الساحة. وهذا أمر طبيعي.. فالمحكمة يجب أن تكون قريبة من الناس، وواقعة وسط المدينة.

لكن المؤلف لم يتقيد في الزمان داخل هذا المشهد الوحيد. فقد استطاع أن يساير الزمان الطويل.. شهوراً متتالية.. عن طريق الحوار حيناً، وتغيير الأضواء من نور النهار إلى الظلام حيناً، لتبيان توالي الأيام والأنهار، ودردبة الطبول التي كانت معروفة قديماً لقدوم مسؤول، أو لعرض منشور.

ولم يكن عسيرا على المُشاهد مسايرة المراحل الزمانية التي كان ينقله الكاتب بها. وكان عنصر التشويق، وقدوم الشخوص وخروجهم، والحوار من أبرز ما كان يبسط توالي الأزمان.

وقد أوتي المؤلف براعة في التصوير الدقيق.. إلا أننا كنا نراه

يولي اهتماماً في تفصيل بعض النقاط، كتصوير ملابس خدا بخش المهترئة، أو تصوير مشاهد السخرية بالقاضي وكبير العسس ورئيس المخفر مع مرجان في منزلها.. في حين أننا نراه يغفل هذا التصوير في لباس الساسة الذين يتحكمون في رقاب هذا الشعب.. وكم كنا نتمنى من المؤلف أن يصور البذخ الذي يحيونه، ولا سيما أن المؤلف ركز كثيراً على ابتزازهم لأموال الشعب.

وعلى الرغم من هذا فإن التصوير عنده بلغ درجة قوية، بحيث إنه كان من وراء الحوار يجعلنا نتصور كل شيء، حتى ثورة سكان بلخ نجح في تصويرها لنا من وراء حوار ثلة من الشبان. والأمر الجدير ذكره في مجال التصوير، هو تفوقه في التصوير النفسي.

خاتمة

إن مسرحية «« محكمة العدل في مدينة بلخ» مأساة ساخرة مؤلمة، أدخل فيها المؤلف مشاهد الفكاهة.. على أساس « شر البلية ما يضحك».. وكان ناجحاً جداً في ربط الدمعة بالبسمة، والضحكة بالألم، والنور بالظلام.

وقد يكون من أنجح مشاهد الدراما في هذا العمل.. قتل خدا بخش وحمله، وسوق الفتاة مرجان إلى الرجم. ومن أنجح مشاهده الضاحكة مشاهد السخرية التي وقع فيها القاضي الأول، وخروج العتاة الثلاثة من الصندوق في ساحة المدينة.

صحيح أن الخير يجب أن ينتصر بعد صراعه المرير مع الشر

المستطير.. لهذا فإن الثنوية نجحت عنده، ذلك أن مبدأ الخير والشر واصطراعهما نابع من معتقدات الشعب الإيراني منذ القدم.

وقد جعل المؤلف انتصار الحق أمراً طبيعياً وعرضه بطريقة ذكية، وظَّف فيها أبسط الناس، لينالوا حقوقهم الشرعية من الحكام الفاسدين، وذلك عن طريق جعل المحكمة تجري وقائعها في ساحة المدينة.. وهو ابتكار كبير نسجله للمؤلف.

ولا بد لي في الخاتمة أن أسجل أن عنوان المسرحية الأصلي هو «ديوان بلخ». وكلمة «ديوان» في اللغة الفارسية تؤدي معاني عدة، منها «المحكمة». ولهذا جعلت العنوان «محكمة العدل في مدينة بلخ». على أنني لم أبدل كلمة «ديوان»(*) في تضاعيف العمل المسرحي، واكتفيت بهذا التنويه، آملاً من هذا كله أن تكون المسرحية ومقدمتها قد أمدَّتا القارئ الكريم بنص ثمين من الأدب الفارسي المعاصر.

المترجم

(*) يمكن ترجمة «الديوان» بـ «قاعة المحكمة».

الشخوص

١- القاضي
٢- كبير العسس
٣- رئيس المخفر (المفوض)
٤- الحرس
٥- أبو القاسم غلجة
٦- المنادي
٧- سليم الصعلوك
٨- حيدر الصعلوك
١٣- الأوباش (جافور - تيمور - رجبك - أحمدك - جعفر).
١٤- خُدا بَخْش
١٥- زيتون التاجر
١٦- سلمان
١٧- مرجان
١٨- مير غضنفر الصراف
١٩- العجوز الشاكية
٢٠- الرجل الأعور
٢١- العجوز البائعة
٢٢- الشيخ البائع
٢٣- الفاكهاني

٢٤- صانع الأقفال

٢٥- بائع الخبز

٢٦- البقال

٢٧- بائع الملابس

٢٨- الإسكافي

٢٩- النحاس

٣٠- الحداد

٣١- النجار

٣٢- محرر العرائض

٣٣- الخراط (وزوجته)

٣٤- بائع القبعات

٣٥- العجوز الممتازة

٣٦- الحمال

٣٧- فراشان

٣٨- حاملا الهراوة والمقمعة

٣٩- ساعي الخان

٤٠- القابلة أو المربية

٤١- العجوز الفقيرة

٤٢- الرجل العابر

٤٣- الرجل البدين

٤٤- الرجل صاحب العصا

٤٥- طيفور (خادم القاضي)

حلبة المسرح

الساحة، مصطبة مدورة في الوسط، الحجرات والغرف والمعابر والممرات في الأطراف. وفي الواجهة: سُلم، وباب، وسطح الديوان.

(١)

مساء. يدخل القاضي وأبو القاسم غلجة - حاملا مصباحا - من باب الديوان.

القاضي: استر وجهك يا أبا القاسم.. أتريد أن يعرفانا؟

أبو القاسم: معذرة يا سيدي.. فأنا مازلت أفكر في هذا القرار المفاجيء العجيب، لماذا علينا أن نتجول في الشارع بزي متنكِّر؟

القاضي: انتبه!

أبو القاسم: أهناك لص؟

القاضي: لقد سترت وجهي من العسس والحرس لا من اللص.. أسمعت الهمسات؟

أبو القاسم: فقد التفتَّ إلى الشائعات إذن؟

القاضي: بلغني أن كبير العسس وأعوانه يسلبون الناس في منتصف الليل، بدعوى حق المرور وباسم التصريح، تحت ستار «أمر القاضي»، القاضي الذي هو أنا! عليّ أن أنظر في هذه الشكاوى، وأتابع الموضوع

بنفسي يا أبا القاسم.

أبو القاسم : وما دوري أنا في هذا المجال؟

القاضي : أنت الشاهد العدل الثاني!

(صوت طبل)

القاضي : أظنه كبير العسس، فلنسر ونتحدث كرجلين عاديين.. نضحك كرجلين عاديين.. كيف حالك يا أبا القاسم؟

أبو القاسم : حسن، من لطفك أيها القاضي.

القاضي (منبها) : لا تَدْعُني باسم القاضي. أنا حمد التاجر.. وصلت قافلتي لتوِّها، ووضعت أحمالها في الخان عند مدخل المدينة.

(يدخل كبير العسس)

أبو القاسم : وماذا لنا في القافلة؟

القاضي : سجاد، وعقاقير، وقمح، وذرة.. أرأيت الأقمشة المنسوجة بالخيوط الذهبية؟.. وفي الطريق إلينا خير منها.

كبير العسس (لنفسه): تاجر ثري! تعال يا جافور.

القاضي : ناولني الفانوس يا أخي.. (ينفخ) عجبا لماذا انطفأ الفانوس؟

(جافور وبقية الأوباش يتقدمون)

كبير العسس : (لجافور) من غير ضجة. (يخرج مسرعاً)

جافور : حسنا أيها الرفاق.

القاضي : انطفأ ضوء مصباحنا.. أليس معكم زيت إضافي؟

جافور: (ضاحكا) أجل عندنا، ولكنه يكلفكم ثمناً باهظاً.

القاضي: لا مانع.. سندفع ثمنه.

جافور: وإذا لم تدفعوا أجبرناكم على الدفع.. كم يكفي يا جعفر؟

جعفر: مئتان.

جافور: كرم السيد أكثر.. أربعمائة.

جعفر: (يمسك بجيب القاضي) إن كان كرمه أكثر فخمسمائة.

(يسحب الأوباش حرابهم من تحت ملابسهم. يضع جعفر يده على فم أبي القاسم)

القاضي: (برهبة) ماذا تفعلون؟

جافور: اخرس، ناول.

القاضي: (يصرخ) الغوث.

جافور: شباب!

(يحتشد الأوباش على رأس القاضي وأبي القاسم.. أصوات مختلطة.. يخرج جافور كيس النقود قسراً)

جافور: دعوهما.

صوت كبير العسس: .. آها.. ماذا يجري هناك؟

جافور: أسرعوا يا شباب.

(يخرج الأوباش مسرعين. يئن أبو القاسم. يحضر كبير العسس من الجانب الأيسر ومعه حرسه)

كبير العسس: ما هذه الفوضى هنا؟

القاضي: يا حضرة السيد.. لقد هاجمنا نفر في الظلام.

كبير العسس: وكيف؟

القاضي: ضربونا يا سيدي، وسلبونا مالنا.

كبير العسس: لا أصدق.

القاضي: كانوا هنا وهربوا الآن.

كبير العسس: هذا غير ممكن.. ففي بلخ الأمن والأمان مستتبّان.

القاضي: ولكنهم هربوا يا سيدي.. كانوا هنا الآن.

كبير العسس: ولكنني لا أرى شيئا.

الحارس: ياسيدي، يرقد هنا رجل بين الأوساخ.

(يسحب الحارس رجلا بائسا رث الثياب هلعاً)

كبير العسس: (إلى القاضي) انظر إليه جيدا. أكان هذا؟

القاضي: كلا يا سيدي.

كبير العسس: (للحارس) حافظ عليه ريثما يأتي دوره. (للقاضي) قلت: هجم عليكما نفر.. نعم.. وماذا كنت تفعل هنا؟

القاضي: وصلت قافلتي، وأنا ذاهب لاستلامها.

كبير العسس: أفي مثل هذا الوقت، وقد مُنع المرور ليلا؟

القاضي: عجب.. لم أكن أعلم ذلك.

كبير العسس: بأمر القاضي، إن من خالف هذا القرار يُغرم بدفع خمسين دينارا.

القاضي: ولكنهم سلبوني كل ما معي.

كبير العسس: كما أمر القاضي بتوقيف من يمتنع عن دفع الغرامة مدة خمسين يوما.

القاضي: عجيب، ومتى صدر هذا القرار؟

كبير العسس : اليوم!

أبو القاسم : (جزعا) يا رئيس العسس.

كبير العسس : فكرت أن أرسل معكما الحارس كي تدفعا له النقود، تقديراً لكما.

القاضي : وممن أتسلم إيصال القبض؟

كبير العسس : أتطلب إيصالاً من كبير العسس؟

أبو القاسم : اسمح لي.

القاضي : لا أسمح لك يا أخي. (لكبير العسس) يا سيدي، هاجمتنا طغمة، وزيادة على ذلك توبخنا بدلا من أن تلاحقهم؟

كبير العسس : هذا كلام فارغ، أنت تتوانى عن دفع الغرامة.. هيا معي.

أبو القاسم : ماذا تفعل؟

كبير العسس : إنني مضطر إلى توقيفكما.

أبو القاسم : (منبها) كلا يا سيدي، فالطقس سيئ جداً.

كبير العسس : بل هو جميل جداً.

أبو القاسم : لِمَ لا تنتبه يا سيدي؟ (يسحب كبير العسس جانبا) الطقس في غاية السوء.

كبير العسس : عجبا (مذهولا).. أهذا أنت؟

القاضي : بماذا همست إليه يا أبا القاسم؟

كبير العسس : (للقاضي) معذرة يا سيدي لم أعرفك، أستميحك عذرا يا سيدي، أنت تعلم أن علينا أن نسوّي هذا الأمر.

القاضي : قل لي يا أبا القاسم.. أأنت من هذه الجماعة؟

أبو القاسم : أنا يا سيدي؟

القاضي : أقسم يا رئيس العسس أن اللصوص كانوا من أعوانك.. فكم دخلك الليلي؟

كبير العسس : أتهينني أيها القاضي؟

القاضي : لقد تحدثت عن قرارات أصدرها القاضي، منها أن العبور ليلا ممنوع، ومن يخالف يكلف بدفع غرامة قدرها خمسون دينارا. ومن امتنع عن الدفع سُجن خمسين يوما. وأعلم أن السجون غير مزدحمة. والناس يدفعون لك خمسين دينارا خوفا من السجن، وترسل مع كل واحد منهم حارسك يشيعه إلى داره تقديرا له، ليتسلم منه النقود من غير إيصال لئلا يكون ذلك دليلا عليك.. أما نسيت شيئا يا سيد؟

أبو القاسم : كلا يا سيدي.

القاضي : (لكبير العسس) بل نسيت أنت شيئا يا حضرة كبير العسس، وهو أني أنا القاضي، ولم أصدر قراراً فاضحاً كهذا. حسنا، من هو صاحب هذه الفكرة؟ وكم قانونا لديكم شبيها بهذا؟

كبير العسس : لا تحتدّ ياحضرة القاضي.

القاضي : أنا لست محتدا يا كبير العسس.. أكنت تعلم بهذا المقلب يا أبا القاسم؟ وكم هو نصيبك من ذلك؟

أبو القاسم : أنا يا سيدي؟

القاضي : ولعل هذا من ابتداع امرئ فطن مثلك.

أبو القاسم : أنت مخطئ يا حضرة القاضي.

القاضي : أنت لم تعد تابعا لي منذ الآن يا أبا القاسم.. اذهب عني، وإياك أن تدخل الديوان ما دمت حياً.

كبير العسس : أتقدر ما تفعله؟

القاضي : أجل.. وسأعمل على عزلك، وسأنقل ما جرى الليلة لرئيس المخفر.

كبير العسس : لا شاهد على ذلك، لن يشهد معك أحد.

القاضي : وداعاً يا كبير العسس.

كبير العسس : (بعصبية) فلنذهب.

الحارس : (متحدثا عن أسيره الفقير) وماذا أفعل بهذا؟

كبير العسس : دعه وشأنه.

(يترك الحارس الرجل الفقير ويخرجون. ويظل القاضي واقفا في مكانه.. يبتعد الرجل الفقير الرث الثياب، وهو صامت لا يفقه شيئا)

القاضي : يا رجل.

(يتوقف الرجل، ويتجه القاضي نحوه)

أنت الآن شاهدي الوحيد. (ينظر إليه الرجل مضطربا) أجل، كان كبير العسس محقاً في مقالته، فربما لا يشهد أحد معي خوفا منه، ولا يمكن إكراههم على ذلك.. فكيف أنت؟ أنت لا تخاف.. صحيح؟

(يراقبه من غير كلام) قل لي (يحدق بالرجل) ألا

تفهم ما أقول أصلا؟

الفقير: (بخرس) أكنت هنا؟

القاضي: نعم.. كنت نائما بين النفايات، وسحبوك منها، وجرى هنا ما جرى، ألم تفهم شيئا؟

الفقير: (يتألم) بطني.

القاضي: أجائع أنت؟

الفقير: (يضحك بلا سبب) أنا جائع.

القاضي: ماذا حدث لرأسك؟ هل اصطدمت بشيء؟ أضربك أحد على رأسك؟

الفقير: كلا (يفكر).. لا أدري.

القاضي: ما اسمك؟

الفقير: (غير فاهم) اسم.. (يفكر) لا اسم لي.

القاضي: وكيف ليس لك؟ مؤكد كان لك وقد نسيته.. من أين جئت؟ من أي بلد أنت؟ قل.. ألا تتذكر؟ لابد أن تتذكر.. فكر جيدا، فأنت شاهدي الوحيد. انظر (يريه أصابعه).. كم عدد هذه؟ (تريّث) أليس الرقم خمسة؟

الفقير: أجل.. خمسة.

القاضي: انظر.. هذا يدعى حذاء، وهذه قبعة، وهذا جدار. والآن قل لي: ما هذا؟

الفقير: حذاء.

القاضي: وهذه؟

الفقير: قبعة.

القاضي: وهذا؟

الفقير: جدار.

القاضي: أحسنت.. وهذه؟ (مشيراً إلى الأرض).

الفقير: لا أعلم.

القاضي: أرض.. أرض.. أنت واقف على الأرض.

الفقير: أرض.. نعم. أنا واقف على الأرض.

القاضي: وهذا يدعى الباب.. وهذا درج.. هذه مصطبة.. إنها أسماء للأشياء، هكذا اتفقوا.

الفقير: (يشير) باب، درج، مصطبة (يتوقف) إنني جائع.

القاضي: يا مسكين.. أنت الآن خالي الذهن.. كطفل ولد لتوِّه. لا أدري لماذا غدوت هكذا، كما لا أدري ما علاجك؟!

الفقير: بطني.

القاضي: نعم اضحك، أنت سعيد الآن، لأنك لا تدرك شيئا.

الفقير: (بشوق) أنا سعيد.

القاضي: (يشير إلى السماء) سماء، نجم، قمر (توقف) ماذا يحدث لو أنك انتبهت إلى وضعك وما أنت فيه؟ ماذا يحدث؟ مصباح، إنسان، سطل، قمامة. (يدخل من الجانب الأيسر رئيس المخفر وشرطيان) هذه أسماء للأشياء.. هكذا وضعوا لها الأسماء.. أسمعت؟ هذه هي الحياة.
(يقع بصره على رئيس المخفر، يبتسم ويتقدم)
- يا حضرة المفوّض.

المفوض : (يتقدم) حضرة القاضي!

القاضي : فرصة سعيدة.. قررت زيارتك غدا.

المفوض : أنا في خدمتك.

القاضي : علي أن أبلغك وأطلعك على...

المفوض : (مقاطعا) أنا على معرفة بذلك يا حضرة القاضي.

القاضي : أأنت على علم بذلك؟

المفوض : أجل.. كان كبير العسس عندي.. أخبرني أنك منزعج جدا.

القاضي : وهل ذكر السبب؟

المفوض : إلى حد ما.

القاضي : وكيف اجترأ على ذلك؟

المفوض : نعم، وهو مذنب بلا ريب (بخفوت) أهذا الرجل معك؟

القاضي : (للفقير) إن أحببت فاذهب ونم (يذهب الفقير). نعم... كنت تكلمني.

المفوض : شرح كبير العسس ما جرى بينكما شرحا كاملا.. ورأى أن تضايقك أمر طبيعي.. لماذا لم يدفعوا لك حصتك؟

القاضي : (غير مصدق) ماذا قلت؟!

المفوض : بلا خجل.. فهذا من حقك.. ولهذا قدمت حتى..

القاضي : حتى تدفع حصتي!

المفوض : (يقدم له كيسا من النقود) اقبل يا حضرة القاضي.

القاضي : أنا لا أقبل يا حضرة المفوض.

المفوض : يا حضرة القاضي، إن رفضك يعني إعلان الحرب.

القاضي : نعم.

المفوض : أنت تعقِّد الأمر على نفسك.. يا حضرة القاضي.

القاضي : أنت الذي تعقد الأمر على نفسك.. يا حضرة المفوض.

المفوض : (باغتياظ) أظنك تعلم من أنا؟

القاضي : (باغتياظ) وأظنك تعلم من أنا؟ أتعتقد أنك تستطيع أن تغمض عينيَّ؟

المفوض : أبو القاسم غلجة كاتبك.

القاضي : كان.

المفوض : إنه مستعد لأن يشهد بأنك ارتشيت.

القاضي : كلام أعمى القلب هذا لا يساوي حبة شعير، فأنا معروف لدى الجميع، ولا عدو لي في هذا البلد غير أعوانك.

المفوض : أأنت واثق؟

القاضي : ومتأكد.

المفوض : إن كنت متعلقا بهم إلى هذه الدرجة فتنازل عن مكانك والتحق بهم.

القاضي : نعم.. هذا اقتراح جميل.. سأنقل منصة القضاء بينهم. منذ الغد سأقضي في الشوارع والساحات.

المفوض : لكنني قصدت غير هذا.

القاضي : لقد أدركت قصدك.. أنت تريد مني أن أستقيل.. سأتحدث في هذا الموضوع مع الأمير.

المفوض : الأمير هو الذي بعثني إلى هنا.

القاضي : (مذهولا) أصحيح هذا؟

المفوض : أنت وحيد.

القاضي : لكن هذا الخبر شد من عزمي.. أنا قاضي بلخ، وسأظل قاضيا لها. سيعضدني سكان هذا البلد.

المفوض : لا تكفيك هذه القناعة.

القاضي : إنها ليست قناعة يا حضرة المفوض، ولكنها حقيقة واقعة.

المفوض : حقيقة؟ (بانزعاج) سنرى. (يمسك بقبة قميص الرجل الفقير الرث الثياب، ويسحبه من بين القمامة) إلى جانب من أنت؟ أي الفئتين ستناصر؟

القاضي : لن يفهم ما تقول.

المفوض : تكلم.

القاضي : أنا كنت نائما.

المفوض : (يدعه) فارقد. (للقاضي) أرأيت أيها القاضي كلهم نائمون.

القاضي : إن كانوا كذلك فأنتم الفائزون.. فلماذا أنت واقف؟ الطريق من هنا.

المفوض : ليلة سعيدة يا حضرة القاضي.

القاضي : (ينظر إلى السماء) بل صباح سعيد يا حضرة المفوض.

(يخرج المفوض مع أعوانه.. يتقدم الرجل الصامت)

الفقير : ماذا جرى؟

القاضي: ستعلم ماذا جرى بعد قليل.

(يسير خطوات، ثم يتوقف ويعود إليه)

قل لي.. إلى أي جهة تميل؟

الفقير: أنا واقف على الأرض.

القاضي: (مشجعا) صحيح.. أترى أشعة النور تلك؟ إن الشمس في طريقها إلى الشروق.. الشمس.. أتفهم؟ النهار، الصباح، الظهر، الليل.

الفقير: الشمس.

القاضي: (يحدث نفسه) حتى هذا اليوم كنت جالسا في الديوان، ولم يكن لي علم عما بخارجه.. ولكن انتهى الآن. (غاضبا) يجب كسر هذا الحصار.

الفقير: (يعيد) الحصار.

القاضي: (بتعب) لن يكون الأمر سهلا.. فلربما تأخرت.

(يمشي) لا أدري.. إنني متعب.. كل جسمي متألم.

(صوت الطبل من بعيد.. يخرج القاضي، ويظل الفقير)

الفقير: صباح، ظهيرة، مساء.

(يدخل المنادي من الجانب الأيمن وهو يقرع بالطبل)

المنادي: هاي.. هاي.. أكرر نداء السحر عند كل معبر.. أوقظ سكان المدينة.. ها قد انقضى الليل براحة وهدوء.. فلا تسلق أحد جدار أحد، ولا نام أحد جائعا.. لم يُهتك عرض أحد، ولا هدر دم أحد في

درب مظلم..أعـــراض الناس في أمـــان.. العـــدل مستتب والأمل دائم.

وبينـمـا المنادي الطبـال يخرج من الجـانب الأيسـر، تبـدأ الضـوضـاء من الخارج تدنو وتتـزايد.. يظهـر البائعون من كل صوب.. يحمل أحدهم سلة، وآخر طبقا، وثالث صندوقا، ورابع خرجا، وخامس يقود عـجلة، وسـادس يحمل قـدرا على رأسـه.. وكلهم ينادون، وأصـحـاب الدكاكين يفـتـحون حـوانيتـهم.. يتقدم المشترون.. ضاع الرجل الفقـير بين المارة.. أصوات الباعة من كل جهة..

- تفضل، فقد غدا رخيصا.

- خبز طازج، ساخن وناضج.

- تعـال.. نصنع الأقـفـال،.. نجلخ المقـصـات، السكاكين.

-تصليح الأحذية.. ترقيع المداسات.

- فاكهة الجنان.. أحضرتها طازجة.

- قميص.. بنطال.. ملابس داخلية من كل صنف.

- ذق واحـدا، وتصـدق بآخـر.. في سـبـيل الله.. الثواب عند الله.

- فول مطبوخ..عدس مطبوخ.

- أدخل يدك في جـيـبك.. أول البـيع.. أشكر لك إحسانك.

يفد طيفور خادم القاضي من باب الديوان يحمل

خــرجـا، ويلصق بيــانـا على جــدار الديوان.. يــدخل القاضي)

أحـدهـم: (بـاحـتــرام) السـلام عليك أيها القـاضـي.. السلام عليك.

القاضي: (يهـز رأسـه بتـواضع) حـسـنـا يا طيـفـور.. سـنذهب اليوم إلى ساحة «نوبهار».

(يخرج القاضي.. يقترب محـرر العرائض نحو لوحة الإعلان)

محرر العرائض: أليس هناك محكمة اليوم؟

طيفور: لا، سـيـشـكل القـاضـي المحكمـة في سـاحـات المدينة منذ اليوم.. كل يوم في محلة.

(يخرج خلف القاضي، ومعه خرج فيه خبز وماء. يقف مع طيفور عدة أشخاص)

الفاكهاني: حسنا.. وبذلك تزول رسوم المحكمة وأجورها.

محرر العرائض: ومـا مـصـيـر عـملي؟ لقـد كنت أكـتـب عـددا من العرائض هنا كل يوم.

الفاكهاني: كلامه صحيح.. ما مصير دخله؟

بائع الملابس: أنت تتجول بعـربتك، فيصيبنا الكساد نحن أصحاب الدكاكين.

(في زاوية من المسـرح يبـدو سـليم الصـعـلوك، وقـد نشر صورة التف حولها عدد من الناس. ضوضاء)

سليم: (بلـحـن مـعـين) إن مـا تراه رأيتـه أمس، وقلت: هذه هي البلدة بعينها.. قلت سمعت ورأيت.. بسم الله..

مدينة تقع في قلب الشمس، محاطة بالجدران من أطرافها الأربعة، شامخة نحو السماء. حاكمها ساحر، دأبه الأوراد والأسحار. شعبها مزيج. إنها مدينة المداولات، يسحر أهلها جميعا بريق الذهب. والذهب على أية حال بلاء. مزدحمة لا يُرى فيها أحد، ولا يلتقي الواحد فيها بالآخر.

(يتقدم هنا شخص ويصيح)

شخص: يا..

بائع الخبز: توقف يا..

(يتقدم الرجل الفقير الرث الثياب ويسترق رغيفا، فيلحقه بائع الخبز) إلى أين؟ ثمن الخبز. (الفقير لا يجيب)

سليم: هيي.. أنا أتكلم، إلى أين ذهبت؟ اسمع يا أخي.. انتبه.

بائع الخبز: لماذا أنت مبهوت؟ أدخل يدك في جيبك. (الفقير لا يستجيب)

سليم: اسمع من البطل الذي أصابه السحر في القلعة سبع ليال وثمانية أيام.

(الفقير يعيد ما بقي من الرغيف)

بائع الخبز: لا أسترده، ، فقد قُطع وأُكل منه.

البقال: ماذا جرى؟

بائع الخبز: الخبيث أخذ رغيفا وحاول الهرب، ظانا أن لا قيمة له ولا ثمن.

الفقير: (ببساطة) كنت جائعا.

بائع الخبز: ها.. ها.. نطق الرجل.. ألا تدفع؟

(يحمل عليه. ينفضُّ الناس من حول سليم ليجتمعوا حول هؤلاء. ويتقدم سليم أيضا. يتدخل البقال ليمنع بائع الخبز من الاقتراب)

البقال: أو تظن أنك قبضت على لص لتضربه؟

بائع الخبز: أجل.. إنه لص.. وإلا فما هو؟

البقال: لو كان لصا لهرب.

بائع الخبز: كيف تقول هذا، وأنت تعرف العاطلين عن العمل؟

البقال: لم يولد أحد سارقا.

بائع الخبز: يا.. إن ما تتسمّمه ملكي، وقد قطعته فعليك أن تدفع ثمنه.

أسمعت؟ ثمنه.

الإسكافي: هاي.. هاي.. كأنه لم يسمع حتى الآن.. ما ألذه!! إنه لا يعلم ماهي النقود.

بائع الملابس: انظر (يمسك عملة بين إصبعيه).. من هذا. (يمد الفقير يده) اسحب يدك.

بائع الخبز: أنا لا أصر على ثمن الرغيف.. لكني متضايق من دهائه، يتظاهر بالغباء، وفي داخله يضحك علينا.

سليم: دع هذا البائس وشأنه.

بائع الخبز: إن كنت ترأف لحاله فادفع عنه ثمن الرغيف. (يقع بصره على حيدر الصعلوك) سلام عليك.

حيدر: سلَّمك الله.

سليم: (لحيدر) هذا الإنسان لا يدرك شيئا.. ما رأيت مثله قط حتى الآن.

حيدر: (لبائع الخبز) كم ثمن رغيفه؟

بائع الخبز: إكراما لك.

حيدر: بلا مجاملة.

بائع الخبز: أَجْعَلُها صدقة باسمك.. لا بالله.

حيدر: عجِّل.

بائع الخبز: (يقبض الثمن) شيء لا قيمة له. (يضحك) سلمت أياديك.

حيدر: اتركه يذهب لشأنه.

(يتحرك بائع الخبز.. توقُّف.. يتفرق الجمع، ولا يبقى سوى عدد قليل)

الفاكهاني: هيي.. إنه يبكي كالأطفال.

(ينظر حيدر إليه بحدة، يذهب الفاكهاني إلى بساطه)

صانع الأقفال: (لبائع الخبز) ماذا جرى؟

بائع الخبز: (حاملا طبقه) محتال والله.. محتال.

(يخرج صاحب الأقفال وبائع الخبز من الزاوية. يجلس حيدر عند الرجل الفقير الرث الثياب على المصطبة)

حيدر: حسنا.. امسح دموعك.

(يضع الخبز في حضن الرجل الفقير)

لكل شيء عوض وبديل يا رجل.. كان عليك أن

تدفع ثمنه.

هذه هي الأصول (يخرج دينارا).. من هذا.

(يتراجع الرجل الفقير)

لا تخف... انظر إليه.

الفقير: (يأخذ الدينار ويحدق به) وما فائدة ذلك؟

حيدر: فائدته (يتعذر عليه الشرح) الحقيقة أنهم يعطونك كل شيء مقابله. لا أعلم لماذا.. أفهمت؟ وحتى تشبع بطنك يجب أن تدفع مالا.. نعم.. يجب أن تشتغل.

الفقير: (يكرر) شغل!!

حيدر: أما جسمك فسليم.. طيب.. يجب أن تتحمل شيئا من عبء الحياة.

الفقير: (ببساطة) ما معنى كلامك؟

حيدر: كيف أقول؟ (للنحاس) ما شغلك؟

النحاس: أنا نحاس.

الحداد: وأنا حداد.

النجار: وأنا نجار.

حيدر: عرفت؟ كل هؤلاء يشتغلون. فهذا يصنع أشياء نحاسية، وذاك حديدية، وذاك خشبية.. ثم يبيعونها للناس، ويقبضون نقودا.. فماذا تعرف أنت؟

الفقير: لا أعرف.

النحاس: هناك من يحتاجون إلى عامل، ناقل حجارة وأتربة.

حيدر: (للفقير) الرأي لك.. ما اسمك؟

الفقير: (يفكر) اسمي..

الحداد : (يضحك) هه هه.. لا اسم له.

النحاس : هذا محال.. لابد أنه كان لك اسم.

الفاكهاني : لا يتذكر. إنه أصلا كالأطفال الذين فتحوا عيونهم على الدنيا لتوِّهم.

حيدر: حسناً.. نجعل لك اسما.. هل ندعوك «خُدا بَخْش»(*).. موافق ؟

الفقير: (راضيا) لا أدري.

حيدر: حسنا ياخُدابَخْش.. في كل فئة أخيار وأشرار.. اسع إلى ألاّ تكون من جملة الأشرار. (للجميع) الله معكم. (لخدابخش) إلى اللقاء (لسليم) فلنذهب.

(يخرج حيدر مع سليم.. يتبع الرجل الفقير حيدراً بنظراته المبهوتة أثناء انصرافه.. يخرج بائع أو بائعان.. يدنو بائع الملابس من خدابخش)

بائع الملابس: حين تحصل على نقود (فكر في ملابسك..اطرح عنك هذا الثوب الخلق (يضحك).. اقصدني تجد ثيابا فاخرة.. سراويل ممتازة.. كل ما تحب (يتحرك ليسير) تخفيضات.. تنزيلات في الأسعار.. شال.. قباء.. صداري.. أكسية من كل صنف.

(يتحسس خدابخش ثيابه ويدرك أنها ممزقة)

الإسكافي : إذا رغبت في حذاء فاقصدني لأقدم لك حذاء جيدا (يضحك). ولا تنس أن تدفع قيمته..

(*) معناه: عطاء الله.

(يتحرك) مداسات جيدة.. من اللباد.. تصليح أحذية.. ترقيع مداسات.

(يتنبه خدابخش إلى حذائه المفتوق.. يتقدم بائع القبعات)

بائع القبعات: ألا تريد قبعة.. ها؟

(يتحسس خدابخش رأسه المكشوف بيده)

البقال: (يغلق دكانه) هيا بنا يا أخي.. فقد قرب وقت الظهيرة.

(يغلق الخرَّاط دكانه.. ويذهب كل واحد منهما لحال سبيله.. يدخل صانع الأقفال مسرعا)

صانع الأقفال: يقولون إن ساحة «نوبهار» مزدحمة.. يقولون إن القاضي شهَّر ببعض الناس.

النحاس: وماذا يعني هذا؟

صانع الأقفال: يقولون إن الحديث يدور حول الأوباش في الليل.

النحاس: هيا بنا نتفرَّج.

(يخرج صانع الأقفال والنحاس وآخرون من الجانب الأيمن، بينما تخرج فئة من ممرات أخرى.. يظل خدابخش وحيدا.. ينظر إلى كسرة الخبز في يده.. تدخل امرأة عجوز تتوكأ على عصا.. يمد خدابخش خبزته نحوها.. تنظر العجوز نحوه غير مصدقة)

خدا بخش: لم أعد جائعا..

(تأخذ العجوز الخبزة منه، وتخرج بعصاها.. أعاد

خدابخش نظره إلى ثوبه وحذائه.. تلمس رأسه العاري بيده.. يتذكر شيئا.. يفتح كفه فيرى الدينار وينظر إليه، فيستولي عليه الخوف، فيرمي الدينار.. يمر رجل فيقع بصره على الدينار، فيسترق النظر حوله فيرى خدابخش.. يتظاهر بالمغص، فينحني على الأرض ويلتقط الدينار بسرعة ويهرب.. يجلس خدابخش على حافة المصطبة مبهوتا.. يدخل رجل بدين يلهث، يحمل كيسا ثقيلا. ينظر إلى خدابخش ويضع الكيس على الأرض)

الرجل البدين : يا حمَّال..

(لا جواب.. يتقدم الرجل ويضع يده على كتف خدا بخش)

احمل الكيس واتبعني.

خدا بخش : نعم.

الرجل البدين : سأدفع لك أجرك عندما نصل.. من غير مساومة.

(صوت الطبل من الخارج.. يحمل خدابخش الكيس على كتفه.. يخرج الرجل البدين أولا وخلفه خدابخش.. يدخل المنادي)

المنادي : (يقرع الطبل مشيرا إلى الانصراف) مضى النهار بهدوء.. غابت الشمس من على السطوح.. حان وقت الدعاء.. وقت الصلاة.. وقت العبادة.. مضى المغرب.. أقرع الطبل.. طبل النوبة الأولى..

(يدخل جافور مسرعا من الجانب الأيسر)

جافور: أُصبنا بالصمم.. كفاك دردبة.

المنادي: معذرة يا سيدي.. فأنا مأمور وعلي أن أؤدي واجبي.

جافور: وهذه الخدمة قد تجرُّك إلى الويلات.. دع دردبة الطبل، فقد تصدع رأس كبير العسس.

(يدخل كبير العسس من الجانب الأيسر)

كبير العسس: لكن الحق معه يا جافور.. لابد وأن يقرع الطبل.. طبّل يا طبال، ولكن من غير أن تصم أذني.

الطبال: (بسرور) فلأتجه نحو خان المحالّ، فهذه الليلة ستنطلق قافلة إلى البنغال.. فلعلي أجد خيراً.

(يذهب الطبال)

جافور: تجوال خال من الخير والنعمة!

كبير العسس: حنانيك يا جافور.. ستتضح لك الأمور في خاتمة المطاف.

جافور: منذ أربعين ليلة ونحن نسمع هذا الكلام.. فمتى تتضح الأمور؟

كبير العسس: بناء على كلام الأمير القائد لابد لنا من الكشف عن طريقة رشيدة.. فالطريقة الرشيدة نفعها أكثر من ضررها، أفهمت؟ يتقدم رجلان.. اغمد خنجرك يا جافور.

جافور: هَيٍّ هَيٍّ.. أحدهما زيتون التاجر.

كبير العسس: اذهب من هنا، فلا يجوز أن يرونا معاً.

(يخرج جافور مسرعا.. يدخل زيتون حاملا صرة تحت إبطه، وبيد سلمان فانوس ومعهما غضنفر الصراف)

زيتون : حسنا يا سلمان، عد فإني أقطع باقي الطريق بنفسي.

الصراف : أسرعوا.

سلمان : أبي، هناك ما يكفينا من الوقت.. فكّر!

زيتون : لِمَ لا تقتنع؟ إني مُجبر.. لو لم يدفع وكيلي ديوني في بنغال لأفلست.. آه. لا تغتم.. ماذا يقلقك؟ لا مجال للخوف، فأمين الصندوق سيقضي حوائجكم كما يفعل الأب لأبنائه.

الصراف : هذا قلق لا يدوم البتّة.

زيتون : أجل إنه شاب بلا تجربة.. وهذا مصدر قلقه. (لكبير العسس) سلاما يا كبير العسس، هذا ابني سلمان خادمك.

كبير العسس : لك ولد نافع.

زيتون : يشتغل في المكتب مكاني.. بنيّ، إذا لحق بك أذى فراجع كبير العسس، فله عليّ فضل.. بالإذن.

كبير العسس : سفرة سعيدة.

زيتون : ارع أختك قبل كل شيء ولا تتركها تستسلم للحزن.. وفّر لها أدوات التطريز والتذهيب.

سلمان : وإن طلب يدها خاطب؟

زيتون : فلينتظر حتى أعود. (ينتظر) أليس هذا صوت طبل

مسيرة القافلة؟

سلمان : نعم.

زيتون : فأنا ذاهب.. أو دعناك.

الصراف : عد.. وأنا أشايع أباك.

(يخرج الصراف خلف زيتون. يدنو كبير العسس من سلمان ومازال يتبع أباه بنظره)

كبير العسس : كما أخبرت والدك، لن أتوانى عن تقديم العون.

سلمان : أشكرك.

كبير العسس : ومن الحسن أن نتزاور.

سلمان : وسيكون لطفا منك لو أنك زرتني في مكتبي.

كبير العسس : سأحاول زيارتكم في داركم في الأيام القريبة القادمة.

سلمان : دارنا؟

كبير العسس : مادام المانع غير موجود فأنا موافق.. ما رأيك في الأسبوع المقبل؟

سلمان : تعلم.. إذا..

كبير العسس : كلا كلا.. لا تصرّ.. غداء بسيط يكفي.

سلمان : أردت أن أقول..

كبير العسس : لا حاجة إلى العنوان.. إن معرفته سهلة عليّ.

سلمان : إذاً (مضطرا) ليلة سعيدة.

كبير العسس : ليلتك سعيدة وصباحك.

(يذهب سلمان.. يدخل جافور ويلتحق بكبير العسس، يدخل من اليمين رجل وبيده عكاز، وخلفه

خدابخش يحمل حملا ثقيلا ويخرجان من جانب اليسار. يعود غضنفر الصراف مسرورا من الجانب الأيمن)

الصراف : رحلت قافلة البنغال.. خرج زيتون التاجر من بوابة المدينة.

كبير العسس : أأنت على يقين؟

الصراف : رأيته بأم عيني.

كبير العسس : فيجب ألا نتأخر إذاً.

الصراف : أجل سيدي.. سيطّلع الدائنون على موضوع رحلة زيتون غدا.. ويتم الأمر.

(يخرج مسرعا.. يعمّ الهدوء)

جافور : لن يأتي هذه الليلة أيضا.. لا فائدة من وقوفنا هذه الليلة.

كبير العسس : وظيفتي هي الحراسة ليلا، فلا أبالي. سنجد طريقا عوضا عن ذلك ذات ليلة.

جافور : ومن أين يعلم هذا؟

كبير العسس : الأمر واضح.. فنحن يقظون، والقاضي راقد.

جافور : لماذا لا تسعى إلى عزله أصلا؟

كبير العسس : الأمير القائد موافق، ولابد له من دليل يستند إليه في عزله.. والقاضي لم يرتكب مخالفة حتى الآن.

(يدخل رئيس المخفر ومعه أبو القاسم غلجة)

جافور : السلام عليكم.

كبير العسس : السلام عليك يا سيدي.. انتظرناك هنا قبل عدة

ليال.

رئيس المخفر: متى؟

جافور: ليلة رحيل زيتون.

رئيس المخفر: نعم.. كنت عند الأمير القائد (لجافور) يبدو عليك الضجر.

جافور: من كساد السوق يا سيدي.

رئيس المخفر: إنه من تقصيرك يا جافور.. فابحث عن طريقة ما.

جافور: عرضت عليكم مقالتي.. وإنني مستعد لإفنائه.

أبو القاسم: وهذا أسوأ عمل.. لأنهم سيعدّونه شهيدا.

جافور: وماذا يعني الشهيد؟

أبو القاسم: الشهيد مَنْ موته أجلُّ خطرا من حياته.

رئيس المخفر: معك حق يا أبا القاسم.

جافور: فهل نجلس ونجترُّ الهواء؟ الشباب بحاجة إلى مصروف.. توّاقون إلى كأس خمر.

رئيس المخفر: عما قريب ستمتلئ الكؤوس يا جافور.. ونحن بحاجة إلى أفكار جديدة.

جافور: لقد أغاظني هذا الرجل حقا، في الصميم.
(هدوء، يدخل خدابخش من جهة حاملا صندوقا على كتفه، ويخرج من جهة أخرى)

أبو القاسم: .. لقد خطرت ببالي فكرة.

رئيس المخفر: (يضحك) لابد أن تكون فكرتك خبيثة يا أبا القاسم.

أبو القاسم: كلا يا سيدي.. غير أنها قد تكون باهظة الثمن

قليلا.

رئيس المخفر: قل ما ترى.

أبو القاسم: تعلمون أنني كنت كاتبه الخاص.. وحقيقة الأمر أني كنت أتمنى أن أقوم مقامه واحتل...

رئيس المخفر: مسند القضاء؟

كبير العسس: جميل جدا.

رئيس المخفر: ما هذا التخريف؟

كبير العسس: أيّده يا سيدي.. فهذا ينفعنا جميعا.

رئيس المخفر: (يضحك) لا مانع عندي، وأنا أضمنها لك، فاشرح خطتك.

أبو القاسم: انظروا.. إن القاضي مطمئن إلى حماية الناس له.. وعلينا أن نبدأ من هنا بالذات.

جافور: ماذا تعني؟

أبو القاسم: نتظاهر بالدفاع عنه.. ولكن علينا أولا أن نقوم بعمل يجعل الناس أنفسهم يطردونه.

كبير العسس: هذا بديع.. فحدثنا يا أبا القاسم.. كيف يتم هذا؟

أبو القاسم: فلنتدارس جزئيات الفكرة (فجأة) قل لي: ألا تعرف امرأً ساخرا هازئا؟

جافور: ما رأيك في أحمدك(*)؟

أبو القاسم: كما أننا علينا أن نستأجر خادم القاضي.

رئيس المخفر: دع أمر طيفور لي.. ولكنك حتى الآن لم تشرح لنا خطتك.

(*) الكاف في «أحمدك» علامة التصغير. وهم يضمون الدال وقد يضعون واوا «أحمدوك».

(يعتلي أبو القاسم المصطبة)

أبو القاسم : غدا يهزأ الرجل الساخر بالقاضي أمام أعين الناس، ويتهمه بشرب الخمر (يشرع بالحركات يغضب القاضي من هذه التهمة، فيطلب ماء.. يناوله طيفور كوز الماء على حسب العادة.. ولكن ليس فيه ماء.

كبير العسس : فيه خمر!!

أبو القاسم : ومن غير أن يعلم القاضي يرفع الكوز ويشرب دفعة واحدة، فيتحرق جسده كله، فيجنّ جنونه من اللعبة التي لعبوها عليه، فيكسر الكوز..

كبير العسس : رائحة النبيذ!

أبو القاسم : ولن يفيده صراخه.. عندئذ سيصدق الناس كلام الرجل الساخر بأنه رجل مدمن.. فيشهّرون به ويتفرقون عنه.

كبير العسس : يُفتضح القاضي!

أبو القاسم : ونستطيع فورا أن نختار قاضيا عوضا عنه.

رئيس المخفر : أيها الخبيث!

أبو القاسم : أشكرك يا سيدي.. كيف رأيت خطتي؟

رئيس المخفر : أنت وحدك الذي يستطيع تدبير مثل هذه الألاعيب.. وبذلك لن يكون له مسند.. أنا موافق.. اذهب يا جافور وابحث عن أحمدك.

أبو القاسم : وأرسله إلى داري.

(يخرج جافور مسرعاً.. ويذهب رئيس المخفر)

رئيس المخفر: إني ذاهب إلى الأمير القائد.

كبير العسس: نحن في منتصف الليل!

رئيس المخفر: علي أن أخبره.. وأنت يا كبير العسس مرّ على دار طيفور، وذكِّره بما كنت وعدته قبلا.

كبير العسس: حالا.

رئيس المخفر: وسنتقابل صباح غد في دارك يا أبا القاسم.. أنسينا شيئا؟

أبو القاسم: طبعا.. نسيت ما وعدتني به.

رئيس المخفر: سأتسلم موافقة تعيينك قاضيا الآن.. ليلة سعيدة.

(وبينما يخرج رئيس المخفر وكبير العسس وأبو القاسم، كل من جهة.. يدخل خدابخش وهو ينحني تحت حمل ويلهث. يضع حمله على الأرض وسط المسرح.. يطلق زفراته، ويجلس على الكيس.. يخرج ما جمعه من دراهم ويعدها. يدخل جافور من الجانب الأيمن.. يرافقه أحمدك السكران)

أحمدك: رأسي يدور يا سيدي.

جافور: افتح عينيك.. فلدينا أخبار كثيرة.. عليك أن تقبل بكل ما يقال لك.

(يقع بصره على خدابخش) أتعرف عنوان منزله؟

أحمدك: ألا ترافقني؟

جافور: هيا لا تتأخر.. محلة كازران.. سألحق بك حالما تصل.

أحمدك: أمرك يا سيدي.

(يخرج أحمدك.. يدنو جافور من خدابخش)

جافور: حضرة السيد يعد نقودا!

خدا بخش: إنني أتعلم الحساب.

جافور: أرى أنه مال مسروق.

خدا بخش: (أحس بالإهانة) إنني أشتغل.

جافور: أحسنت.. لابد لك من تحليله.. بأن تدفع بعضه في سبيل الله.

خدا بخش: ولكنه ضئيل جدا.

جافور: كم قدره؟

خدا بخش: الحقيقة...

جافور: دعني أعدّه لك.

خدا بخش: (يعطيك النقود) أطال الله عمرك.

جافور: منذ متى تشتغل هنا؟

خدا بخش: منذ مدة طويلة.

جافور: حسنا.. فأنت مدين لي بثلاثين أيضا.

خدا بخش: ولماذا؟

جافور: عليك أن تدفع قطعة من هذه النقود عن كل يوم.

خدا بخش: ما كنت أعلم هذا.

جافور: لقد علمت الآن.. وعليك أن تدفع الباقي حتى الفجر، وإلا طردت من هنا.

(يدخل حيدر وسليم الصعلوكان من الجانب الأيسر)

حيدر: ماذا تريد منه؟

جافور: (يضحك) كنا نتمازح.. (لخدابخش) لا تنس الصباح. (يذهب) ما أكثر ضحكك! (يخرج من الجانب الأيسر).

خدا بخش: أخذ نقودي.

حيدر: ماذا؟ (يتبع جافور مسرعاً) يا....

سليم: (يركض) توقف.. إني ألحق به.

(يخرج سليم لاحقا بجافور ويبقى حيدر)

حيدر: انهض.. علينا أن نبحث عنه.

خدا بخش: سيعود، لأن عليّ أن أدفع له ثلاثين.

حيدر: أنت؟

خدا بخش: هكذا قال.

حيدر: فليخسأ.. يجب أن تشكوه.

(يعود سليم)

سليم: غاب عن الأنظار.

حيدر: جافور كبير الأوباش.. أسمعت؟ عليك أن تشكوه.

خدا بخش: ماذا أفعل؟

حيدر: الشكوى.. لقد أخذ كل ماكسبته.

خدا بخش سأشتغل ثانية.

حيدر: وسيأخذ منك ثانية.

خدا بخش أنا لا أحقد عليه.. لا أريد أن أختلف مع أحد.

حيدر: أيها الشاب الساذج.. لا يمكن للمرء أن يكون مخلصا مع كل الناس.

خدا بخش أنا أستطيع.

حيدر: كنت أقول هذا يوما، ولكن هذا مستحيل.. إن أردت أن تعيش فعليك أن تدرك أن هذا غير ممكن.

خدا بخش: ولماذا؟

حيدر: الأخيار والأشرار في كل مكان.. وعليك أن تنحاز إما إلى هؤلاء وإما إلى أولئك.. ولكن لا يجوز أن ترافق الجميع.

خدا بخش: أنا لن أشكو.

(يخرج طيفور من باب الديوان وهو يدردب بالطبل.. يتوافد الباعة على الساحة.. يرتقي طيفور المصطبة.. ضوضاء وصخب)

طيفور: أيها الناس.. أقرع الطبل كي تجتمعوا.. ستتشكل المحكمة اليوم كالمعتاد.. رجال ونساء.. شيوخ وشبان.. فقراء وأثرياء.. الجميع متساوون في كفتي العدالة.. أيها الناس.. أطبل كي تجتمعوا.. اجتمعوا أيها الناس.

(فتحت أبواب الدكاكين.. يحمل خدابخش الكيس إلى دكان البقال. يخرج طيفور زاد القاضي وماءه، يخرج كوزا صغيرا أزرق. يأتي القاضي من باب الديوان ومعه محفظة فيها كتب القانون، وكرسي.. ضوضاء المجتمعين)

الناس: العرائض.. العرائض.

القاضي: هيا يا طيفور.

(يجمع طيفور العرائض.. يجلس القاضي على

الكرسي. يعزم خدابخش على الذهاب)

حيدر: هذا هو القاضي.. ماذا تقول؟

طيفور: (للجميع) سكوت.. هنا محكمة العدل.

القاضي: لا تتكلم كلاماً رسميا إلى هذا الحد يا طيفور، دع الجميع على راحتهم.

طيفور: أهناك عرائض أخرى؟

القاضي: حسنا.. نبدأ باسم الله.. من عنده شكوى؟
(ضوضاء.. يرفع بعضهم أيديهم.. يقبض الصراف على يد سلمان ويجره)

طيفور: بالدور.. بالدور.

الصراف: أنا الشاكي يا حضرة القاضي.. أنا الشاكي.

القاضي: (للجميع) سكوت.. (للصراف) ما موضوعك؟

سلمان: اقرأ هذا السند أولا يا سيدي.

القاضي: واحدة واحدة.. بالترتيب.. (للصراف) ما اسمك؟

الصراف: الجميع يعرفني يا حضرة القاضي.

القاضي: حين أجلس على هذا الكرسي فإني لا أعرف أحدا (لسلمان) أنت تكلم.. من أنت؟

سلمان: أنا سلمان بن زيتون التاجر.

القاضي: يا سلمان بن زيتون التاجر.. تكلم.. ماذا جرى؟

سلمان: يا حضرة القاضي.. سافر أبي إلى البنغال قبل ستة أيام، وفجأة داهمني الدائنون في مكتبي يطالبون بمبالغهم، وإلا حجزوا على كل ممتلكاتنا.. الأمر الوحيد الذي خطر ببالي أن أرجع إلى هذا الشيخ

المحترم.. فهو حتى الآن زار العتبات المقدسة ثلاث مرات، وله من الأموال ما لا يعد منها ولا يحصى.

القاضي: (للصراف) سألتك: ما اسمك؟

الصراف: أنا مير غضنفر الصراف.

سلمان: يا حضرة القاضي.. لقد ختمت ووقعت هذا السند من غير أن أقرأه، لثقتي بهذا الرجل.

الصراف: هذا كذب.. لقد قرأه.

سلمان: تبين لي فيما بعد أن السند رهيب ومدبَّرٌ على نحو لم يخطر ببالي قط.

القاضي: يا فتى كان عليك أن تعلم ما في السند قبل توقيعه.. أعطني السند.

الصراف: تفضل.. تعيَّن أجلُه من مدة خمسة أيام.

سلمان: (بيأس) لكنه قال لي إن أجله حتى عودة والدي من السفر.

(يقرأ القاضي السند ويحتد شيئا فشيئا)

القاضي: هذا أمر غير معقول.. أو تريد أن تقتل الفتى؟

الصراف: ليس الأمر كذلك.

القاضي: لكن معناه هو هذا.. كيف تقبل أن تقتطع قطعة لحم من جسم هذا الفتى؟

الصراف: هو ارتضى ذلك.. هو ارتضى ذلك.

(تسقط مرجان مغشيا عليها بين الحضور.. ضوضاء مشوبة بالدهشة)

طيفور: ما الخبر؟

سلمان : ما الذي جاء بك إلى هنا يا مرجان؟

المربية : لم تطق البقاء في البيت.. إذ كانت تخاف...

سلمان : هيا يا مرجان عودي حالا.

الصراف : سيدي.. الأفضل ألا تبرح المكان. (إلى سلمان) ألا تتذكر شروطي؟ لديك سبيل حسن للنجاة.

سلمان : اخرس.

القاضي : أنتما في المحكمة.

سلمان : سيدي القاضي.. إن هذا الرجل يكرهني على أن يأخذ أختي العفيفة إلى أحد أصدقائه.

القاضي : عجيب!

الصراف : على الطريقة الشرعية طبعا (ضاحكا) وعلي التزامات يا حضرة القاضي.. فكِّر بي، إذ إنني كنت لا أملك مالا، وحصلت عليه من زميل لي.

سلمان : من هذا الزميل؟ اذكر اسمه.

الصراف : لا يسمح لي ذكر اسمه.. غير أنه يُحلّك من ديونك إذا عملت بالشروط.

القاضي : وما رأيك يا آنسة مرجان؟

مرجان : (في فتور وضعف) إنني أستحي من سماع ما يقال، فأبي غير موجود، وأمي ميتة.. ولم أكن معهم خلال معاملاتهم التجارية.

القاضي : أسمعت الجواب؟

الصراف : فلا فائدة إذا.. ولابد من إجراء شروط السند.

القاضي : (في عصبية) ناولني الماء.

(يتقدم طيفور بالكوز)

القاضي : (لا يأخذه) أنت تشتغل في السوق يا غضنفر، أليس كذلك؟

وعلى هذا فأنت منافس لزيتون التاجر.

الصراف : أبدا.

القاضي : فلماذا تسعى إلى إيذاء أهله؟

الصراف : أريد تنفيذ القانون بكل دقة وحسب.

القاضي : حسنا، الآن ينفذ القانون بدقة.. هيا.. أحضروا ميزانا.

مرجان : إلهي!

سلمان : لا تبكي يا مرجان.

القاضي : تقدم يا فتى.. اخلع عنك ثيابك.. اعطوا هذا الصراف سكينا.

(انتظار.. لا أحد يقدم سكينا)

الصراف: لماذا تحجمون؟ عجلوا بالسكين. (لسلمان) ليس لديك قدرة.

ولن تطيق اللحظة الأخيرة.

القاضي : (لطيفور) إن كان معك سكين فقدمها للرجل.

(ضوضاء.. مرجان تدق على صدرها)

القاضي : ها هي ذي السكين بين يديك.. والفتى موجود.

وكوني قاضي المدينة أتوسط بينكما كي تنصرف عن إقدامك على هذا العمل.

الصراف : نفذ القانون ولا تعظ.

القاضي : القانون ينفذ.. الآن أمامكم سيقطع هذا الرجل أوقية من لحم هذا الفتى.. بشرطين أولهما، يجب أن تكون القطعة أوقية تماما من غير زيادة أو نقصان.

الصراف : (بوهن) هَيّ هَيّ.. هذا مستحيل.

القاضي : هذا الذي جاء في السند.. وثانيا لم يذكر القرار إراقة الدم.

الصراف : وكيف يمكن ألا يُقطر الدم؟

القاضي : لقد طالبتني بأن أنفذ القانون بكل دقة.. وهذا هو القرار.. فقد كتب هنا أوقية لحم.. ولم يرد ذكر الدم مطلقا..

الصراف : فإن زاد؟ أو انسكب دم؟

القاضي : عندئذ تكون نقضت القرار.. ولابد من عقابك.

الصراف : لدي اعتراض.. فقد وقع خطأ في كتابة السند.

القاضي : إن كان قد وقع خطأ فعليك تحرير سند جديد.

(يمزق السند.. يدخل جافور وزبانيته)

مرجان : (مسرورة) تخلصنا.

الصراف : أيها الظالمون.. يا ظالمون.. ما مصير نقودي؟

سلمان : إنني أعترف بأني مدين لك بعشرة آلاف دينار.. إنني مستعد لدفعها إن منحتني فرصة كي أقترضها لك.

القاضي : موافق؟

الصراف : ليس لي سبيل آخر.

القاضي : حسنا.. أسجل هذا.. اذهبوا بأمان الله.

(يدون القاضي في سجله، ويذهب سلمان ومرجان.
يقترب كبير العسس من سلمان)

كبير العسس : يمكنني أن أقرضك إن شئت.

سلمان : صحيح؟

كبير العسس : كان مقررا أن نزوركم غدا ظهرا في منزلكم.. سنتحدث حول هذا الأمر هناك.

مرجان : عن إذنك.

(يخرج سلمان ومرجان والمربية من الطرف الأيسر.
يدنو حيدر من خدابخش)

حيدر : جاء دورك.. تقدم.. يا الله..

القاضي : الثاني.

حيدر : سيدي هذا الشاب يدعي على جافور زعيم فتوات البلدة.

القاضي : تقدم أيها الفتى.. تكلم.

حيدر : لقد استلب جافور كل ما وفَّره هذا الفتى.

خدا بخش : أنا لا أدعي على أحد.

(همهمة.. يدخل أحمدك وأبو القاسم)

جافور : (يتقدم) أما أنا فأدعي عليه.. إنه مدين لي كثيرا.

القاضي : من أنت؟

جافور : المخلص لكم جافور.

حيدر : إنه يستلب الناس أموالهم، وهذا عمله يا سيدي.

جافور : إنه يهذي.

القاضي : دعني أرى يا جافور.. فأنت بنظري معروف.

جافور: ولكنني لم أرك قبل اليوم.

القاضي : بل رأيتني في منتصف ليلة ما، ألا تذكر؟ فقد هجمت علي أنت وأعوانك.

جافور: لست من أصحاب هذه الأعمال.

القاضي : أنت منهم، ومعك جماعة يحمونك.

جافور: مثل من؟

القاضي : يجب أن تغير مسيرتك يا جافور.

جافور: بل أنت الذي يجب أن يبدل مسيرته.

القاضي : ارحل عن هذا البلد يا جافور، وإلا سجنتك عند أول شكوى تصلني ضدك.

جافور: ربما خرجت أنت يا سيدي من هذا البلد قبل أن يحل ذلك اليوم.

القاضي : اصبر لنرى... ماذا تعني بهذا؟

(يخرج جافور.. همهمة الناس)

القاضي : (محتدا) الماء.. الماء!

(يقدم له طيفور الكوز.. يبل القاضي شفتيه، ثم يرده له)

سليم : (لخدا بخش) لماذا لم تتكلم؟ لو أنك شكوته لتحدد مصيره.

حيدر: دعه.. ربما اعتراه الخوف.

خدا بخش : أنا لا أخاف.

القاضي : فلماذا سكتَّ؟

خدا بخش : أنا لا أحب إيذاء أحد.. أنا لا أحقد على أحد.

القاضي : هذا ليس اسمه حقدا.. الأمر على العكس. إن أنت تحملت ما يصيبك من أذى تكون أعنت الظلم.

خدا بخش : أنا لا أعادي أحدا.

القاضي : حتى مع عدوك؟ إن كنت هكذا فلا يمكنك أن تعيش بين الناس... أنت لا تعرف شيئا من الحياة.. أي شيء.. (توقف) تذكرت الآن.. عندما هاجموني تلك الليلة كان هناك رجل آخر.. ما اسمك؟

خدا بخش : خدا بخش.

القاضي : لكن الرجل لم يكن له اسم.. ما هو شغلك؟ ماذا تعمل؟

خدا بخش : كل ما يمكن.

القاضي : أأنت مستعد لأن تعمل في ديوان العدل؟ فأنا بحاجة إلى معين.. شخص يعدو سريعا.. يبلغ رسائلي إلى الآخرين، ويحمل معي كتب القانون.

حيدر : وافق.

خدا بخش : أنا أمي.

القاضي : إن رافقتني تعلمت.. عليك أن تحضر المحاكمات كلها.. أريدك أن تشاهد أنواع الظلم والحيل والألاعيب.. فتدرك حقيقة الدنيا بسرعة.. هيا يا طيفور أعط هذا الشاب جبتي الإضافية.. فهو منذ اليوم جزء من ديوان العدل.

طيفور: الجبة حاضرة.

حيدر: أدام الله عزك.. زرنا من وقت لآخر.

(يرتقي خدابخش المصطبة ويرتدي الجبة.. يخرج حيدر.. يعلن القاضي)

القاضي: الشكوى التالية.

(يتقدم أحمدك)

أحمدك: أنا عندي شكوى.

كبير العسس: (للحضور) سكوت.

القاضي: عرِّف بنفسك.

أحمدك: اسمي أحمدك النساج، صاحب الحمار الأسود.. زوج «خَنْدَان كُل» المشتهاة.. التي هي أشهر من الكلاب، وأطيب من الحلوى.

القاضي: (يضحك) ماذا قلت؟

أحمدك: صحيح ما ذكرت.. لي زوجة يعرفها عزّاب المدينة جميعا، ويسرُّها كل واحد منهم مرتين أو ثلاث مرات يوميا.

(يضحك الحضور)

القاضي: (بجد وحزم) أتشكو منها؟

أحمدك: كلا يا سيدي، ولكن من حماري. كان لي حمار أسود مات وأعطاك عمره.

القاضي: لي؟

أحمدك: (يبكي) كان هذا الحمار كل حياتي.. كيف أحيا بعده؟ (يمسح دمعه).. قالت لي زوجتي إن كنت تريد حمارك فاذهب إلى القاضي..

اذهب ولا تَدَعه.

القاضي : يا طيفور.. ادفع لهذا الرجل بعض الدنانير ليبتاع حمارا آخر.

أحمدك : كلا يا سيدي لا أقبل.. أريد حماري نفسه.

القاضي : وما الفرق؟

أحمدك : كيف لا يوجد فرق؟ كان حماري يختلف عن الحمير الأخرى.. ماذا أحكي عنه؟.. لا تقل حمارا، قل أخا.. ربيت هذا الحمار تماما كما يربي القاضي ولده.

القاضي : (محتدا) الماء!

البقال : اذهب يا رجل من هنا.

أحمدك : إلى أين؟ لقد خانني حماري.

القاضي : وهل تعلم معنى الخيانة أصلا؟

أحمدك : كيف لا أعلم؟ نفترض أنك صديقي.. وتعبت عليك طول عمري.. هيأت لك التبن والعلف من غير توان.. والآن وقد قررت أن أبيعك تستولي عليك غريزة «الحمرنة» فتخرّ صريعا... أليست هذه خيانة؟

طيفور : الماء..

القاضي : ناولني إياه..

أحمدك : اعذرني أيها القاضي..هل غضبت؟

القاضي : (يرد الكوز) كلا (بحزم) أيها الرجل العزيز من دفعك إلى الإساءة إليّ؟

أحمدك : أيها القاضي الجليل.. متى أنا أسأت إليك؟ كنت أشرح لك شقائي.

القاضي : وماذا تريد مني أن أفعل؟

أحمدك : مر حماري أن يحيا.

القاضي : أو ممكن هذا؟

أحمدك : لو أمرته لأطاع.. لقد كان زميلك في العمل.

بائع الملابس : بماذا تخرّف؟

أحمدك : كان حماري قاضي الحمير.

طيفور : (للقاضي) الماء يا سيدي.

القاضي : لماذا تصر على أن تسقيني يا رجل؟ (للإسكافي) دعه.. (لأحمدك) أيهذا الرجل العزيز.. إن لصبري حدا.. أتذهب من هنا أم لا؟

أحمدك : أجل.. يريد الآن أن يسجنني.. لا ينتظر من قاضٍ سكير غير هذا..

سليم : ماذا قلت؟

كبير العسس : ماذا قلت يا رجل؟ قاضينا سكير؟ (ضوضاء وصخب)

أحمدك : (للقاضي) اعذرني يا سيدي ما كنت أقصد.. ولكن شقشقة هدرت ولا يمكن إنكارها.

القاضي : (محتدا) تنكر ماذا يا رجل؟

أحمدك : يعلم الجميع مجالس شربك.

الإسكافي : لا تغلط.

أحمدك : أصلا نحن لا نعلم ماذا في هذا الكوز الذي تتجرع

منه بين الآونة والأخرى.

القاضي: (يصيح) ماء!

طيفور: تفضل يا سيدي.

القاضي: أسمعت؟ إنه ماء.. اختبره إن شئت.

كبير العسس: (يرتقي المصطبة) لماذا تتهم قاضينا الجليل يا رجل؟ لم يره أحد حتى الآن سكران.

سليم: صحيح.. القاضي رجل طيب.

أحمدك: فلماذا يخشى أن يختبر الكوز؟

كبير العسس: القاضي لا يخشاك.. وحتى تطمئن سيشرب ما في الكوز كله.

القاضي: ما هذه المؤامرة يا كبير العسس؟

كبير العسس: إني أدافع عنك!

القاضي: لست في حاجة إلى دفاعك، فإن صفحتي بيضاء طاهرة.. يا طيفور ناول الجميع الكوز ليختبروه بأنفسهم.

سليم: أنا أثق بالقاضي.. (لطيفور) ناولني إياه.

(يتناول سليم الكوز ويحتسي منه.. ولكنه فجأة يتلظى ويسعل)

القاضي: ماذا جرى؟

سليم: (يدفع الكوز إلى القاضي) صحيح.. إنه ماء.

القاضي: كلا.. كأنك تخفي شيئا.. أنت تصادقني.

(يحتسي القاضي من الكوز.. وفجأة يثور، ويبقى غير مصدق)

القاضي : ما هذا يا طيفور؟ (يكسر الكوز) أأنت تعاضدهم أيضا؟

أحمدك : ما هذه الرائحة؟

كبير العسس : رائحة خمر نفاذة.

أحمدك : منذ متى والنبيذ يدعى ماء؟

(يتراجع الحاضرون.. بضحكات ساخرة)

القاضي : هذه حيلتك يا كبير العسس.

كبير العسس : كفاك يا جناب القاضي.. فقد شهد الجميع دفاعي عنك.

القاضي : أنت تتلاعب بمقامي.

(يدخل الحارس مسرعا)

الحارس : حضرة رئيس المخفر.

(يدخل رئيس المخفر وحرسه من الجانب الأيسر)

رئيس المخفر : ماذا يجري هنا؟

كبير العسس : الأفضل ألا أتكلم أنا.

رئيس المخفر : أليست هذه رائحة خمر قوية؟

كبير العسس : كلا سيدي.. إنها رائحة ماء الورد للقاضي.

(يضحك الجميع)

القاضي : (يصرخ كالمجانين) أنتم الرابحون.. حسنا جدا.. أنتم الرابحون.

(يخرج مسرعا من بين الحضور.. يسخر الجميع منه.. فجأة يقفز سليم إلى المصطبة)

سليم : (لطيفور) ماذا تخبئ يا..؟ (يأخذ الكوز أيها

الخبيث!

(يصرخ) لقد بدلوا الكوز.

(يبقى الناس مذهولين وساكتين)

سليم : هذا الكوز يشبه الكوز الذي كسره القاضي.

رئيس المخفر: أسكِتوا هذا الصعلوك الثرثار.

(يهرب سليم.. ويتعقبه حارسان)

كبير العسس : يبدو أنه كان مجنونا يا سيدي.

رئيس المخفر: فعيِّنوا جائزة للقبض عليه إذًا.. (لطيفور) اقرأ هذا الحكم.

(يأخذ طيفور الحكم ويرتقي المصطبة.. يعود جافور)

طيفور: ختم الأمير القائد.. (يقبّل موضع الختم).. بسم الله.. بناء على مابلغنا من أنباء فساد قاضي القضاة، فإننا بموجب هذا الكتاب نعين مكانه أبا القاسم غلجة قاضيا، وهو المعروف بإيمانه وسابق خدماته الجليلة.. آملين أن يكون موفقا في عمله.

رئيس المخفر: (يتظاهر بالدهشة) فقد كان الحكم لك يا أبا القاسم!

أبو القاسم : أنا نفسي لا علم لي.

كبير العسس : (مبتهجا) اختيار جيد .. متى نأتي لتهنئتك؟

رئيس المخفر: (ضاحكا) أيناسبكم غدا وقت الغروب؟ (يشير إلى الآخرين)

لماذا سكت هؤلاء؟

كبير العسس: لعل الابتهاج أقفل أفواههم.

رئيس المخفر: إني مسرور لأن الجميع مسرورون.. إني ذاهب.. عرّفوا قاضيكم بالجميع.

(يخرج رئيس المخفر مع حراسه.. يرتقي أبو القاسم المصطبة، والهدوء مخيم على الناس.. بينما انسحب بعضهم)

جافور: يحيا القاضي.

الأوباش: يحيا.

أبو القاسم: أيها الناس النجباء.. لقد علمني القضاء والقدر درسا عظيما عندما سلمني سيف الحق والعدل.. علمني درسا غاليا أيضا.. علمني أن كل خديعة وحيلة سوف يفتضح أمرها يوما.. فلماذا أنسج بساطا من الكذب أفرشه تحتي؟

قدمت إليكم لأبني ما تداعى في الماضي.. هدفي مصلحتكم.. وأقسم بأن الحكمة في العدالة هي ما أشرت إليه.. أزف وقت الغروب، وأريد لكم أن يتم عليكم اليوم وأنتم سعداء.. ولقد وضعت بدل إيجار ثلاثة أشهر من دكاكين الديوان في كل أنحاء المدينة عن مستأجريها.

(يبتهج أصحاب الدكاكين.. جلبة)

أبو القاسم: وألغي كل الأحكام التي كانت في زمان القاضي السابق.

جافور: عاش القاضي.

الأوباش وبعض الناس: عاش.

كبير العسس : أرى أن يُنَادى على هذا النبأ يا سيدي.

أبو القاسم : انتبهوا.. أعمالنا تعرِّف بنا وليس أقوالنا.

(يخرج البعض من أطراف الساحة)

طيفور: (يعلن) يجلس حضرة القاضي عصر غد في الديوان لقبول التهاني.

(ينسحب آخرون.. تغلق الدكاكين)

جافور: يجب أن نحتفل.. يجب أن نطلق أسهما نارية.

طيفور: سر، فأنت ضيفي.

جافور: صافحْ.

(يخرج الأوباش)

طيفور: (لأبي القاسم) من هنا ياسيدي.

أبو القاسم : أجل.. فلنذهب.

كبير العسس : ليلة سعيدة.

أبو القاسم : ادعوا لي.

(يتجه أبو القاسم نحو الديوان.. يخرج كبير العسس وأعوانه.. يحمل طيفور الكرسي والطبل.. وخدابخش واقف في ناحية لا يدري ماذا يفعل)

طيفور: (لخدابخش) إلى أين؟

(يتوقف خدا بخش)

طيفور: أنت الآن تابع لديوان العدل.. احمل الخرج وهاته.

(صوت الطبل.. يعود خدابخش ليحمل الخرج ويسير خلف طيفور من الباب الأمامي.. يدخل

(المنادي.. يقرع الطبل)

المنادي: بشرى.. بشراكم يا ناس.. اليوم أول اجتماع عام لقاضي بلخ.. فأسرعوا فقد قرب المغرب.

(يفتح الخراط دكانه من يسار المسرح ويصغي)

صوت امرأة: ادخل يا رجل.

الخراط: الجو لطيف يا امرأة.

(يخرج المنادي وهو يقرع الطبل.. يدخل الفاكهاني من زاوية يترنح كالسكران.. ينظر إلى شيء في وسط المسرح.. فينحني ويأخذه)

الفاكهاني: لقيت كسرة من الكوز.. هه هه.. لم يبق من حياته سوى هذه (يتقدم) إنها لك.

الخراط: وهل أنا ضابط الحكومة؟ ادفع بها لمن يجمع ممتلكاته.

الفاكهاني: ما لنا وهذه الأمور؟.. قيل إنه ترك المدينة أمس وتوارى في البر.

الخراط: أنت متخبط؟ أين أنت.. انظر هناك.

(يأتي البقال، وبائع الملابس، والإسكافي من باب الديوان)

الفاكهاني: هَي هَي! كنتم هناك أيضا؟

البقال: أجل.. تحققنا ووجدناه رجلا مؤمنا وطاهرا.

الفاكهاني: وماذا تقول عما جرى أمس؟

بائع الملابس: أمس؟.. نعم.. رأينا كلنا كوز الخمر.

الفاكهاني: لقد كانت حيلة مدبرة.

البقال : وكيف لنا أن نعلم؟

(يعتريهم الذهول من كلام الفاكهاني)

الفاكهاني : (للخراط) أسمعت؟.. عندهم شك.

الخراط : لابد من الشك..كل امرئ يفكر في نفسه.. نعم.. لقد ذهبوا لتقبيل الأيادي، لأن القاضي وضع عنهم بدل إيجاراتهم.. في حين أنك منزعج لأنه ليس عندك دكان.

الفاكهاني : أأنا منزعج من هذا؟

الخراط : (ينهض) لقد فرق بيننا منذ البدء.

(يدخل الخراط دكانه ويغلق بابه.. يدخل بائع شيخ وامرأة عجوز)

العجوز : ياولدي.. أتأتي معنا أنت أيضا؟

الفاكهاني : (بانزعاج) أنا لا آتي مع أحد.

العجوز : فلماذا أنت هنا؟ (بتحفظ) عندما يكون المرء هنا وليس هناك يُعدّ ما جرى أمس حيلة وخدعة.

الفاكهاني : ألم يكن؟

البائع : لا تعلم.. وكيف أنت؟ أأنت على حق أنه كان؟

الفاكهاني : أنا رأيت كوزين.

العجوز : صحيح.. ولكنهما خرجا من محفظة واحدة.. (مستهزئة) أتعلم محفظة مَنْ؟

البائع : وفوق هذا.. فراره دل على أشياء كانت.

العجوز : حسنا.. فماذا تقول؟

الفاكهاني : (مترددا) الحق.. لست أدري.

(يخرج حارس من باب الديوان)

الحارس : ماذا تعملون هنا؟

البائع : نحن يا سيدي؟ (يتقدم) نحن نريد الذهاب إلى القاضي.

العجوز : (تدفع الفاكهاني) نعم يا سيد.. سنذهب جميعا

الحارس : معاً.

(يضحك) غروب جميل!

(يخرج العجوز والبائع الهرم والفاكهاني من باب الديوان، ويدخل كبير العسس من الباب مسرعاً)

كبير العسس : فلنذهب أيها الحارس.

الحارس : تأخر الوقت يا سيدي... ففي هذا الوقت يغلق السوق عن آخره.

كبير العسس : ما أحسن هذا! (ضاحكا) نذهب إلى منزله.

(يدخل سلمان مسرعا)

سلمان : يا حضرة رئيس العسس.

كبير العسس : (يتريث) عجبا.. قررنا أن نجيء إليك في منزلك.

سلمان : نعم.. أذكر هذا، لكنني ارتأيت أن أجيء إليكم بنفسي (بتحفظ) فكرت مليا.. الحقيقة.. كيف أقول؟

كبير العسس : (للحارس) لا تبتعد عن هذه الأطراف.

(يخرج الحارس)

سلمان : (يمد الكيس) الصراف ينتظر حتى عودة والدي.

كبير العسس : (بلطف) الحقيقة.. أنا لم أدفع حتى أسترد.

سلمان : كـلا يا سـيـدي.. هذا لطف كـثـيـر، وأنا عـاجـز عن تلافيه.

كبير العسس : بالعكس.. (يضحك) زيارتك اليوم كانت عظيمة جدا.. فقد كنت أتوقع رؤية الآنسة مرجان أيضا.

سلمان : نعم؟

كبير العسس : إنها فتاة في غاية الجمال.

سلمان : وعفيفة أيضا.. إلى اللقاء.

كبير العسس : أنتم بحاجة إلى حماية.. (يتريث سلمان) أبشرك بنعمة عظيمة تحل بأسرتكم.. طبعا إن أردت.. وحتى لو لم ترد.

سلمان : لم أفهم من كلامك شيئا.

كبير العسس : وكيف؟.. لقد دفعت هذا المبلغ ظنا مني أنك فتى ذكي.

سلمان : وقبلت منك ظنًّا مني أنك رجل حصيف.

كبير العسس : (باغتياظ) نعم؟

سلمان : (بتصميم) نعم! لقد فهمت اليوم أن الصراف صديقك، وأن كل ما جرى كان حيلة مدبرة.

كبير العسس : لكنني خطبت أختك بكل احترام أيها الشاب.

سلمان : وأنا أرفض طلبك.

كبير العسس : أنت ترفض طلب رئيس المخفر.. لا طلبي.

سلمان : (محتارا) رئيس المخفر؟

كبير العسس : الحقيقة أن سيادته يصر على أن...

سلمان : الجواب نفسه.

كبير العسس : لكنكم تريدون العيش في هذه المدينة.

سلمان : أجل نريد العيش.. (بصوت أكثر خفوتا) رأى رئيس المخفر مرجان في سوق البزازين.. ويومها أوصل لنا رسالته، وأجابته مرجان بالرفض.. وانتهى.. أنا لا أجبرها على شيء أبدا.

كبير العسس : (مغتاظا) يا فتى.. إن الذي سيَّر الدائنين إلى أبيك وأرسله إلى البنغال لقادر على أن يزيحك أنت أيضا.

سلمان : (بذهول) أكانت فعلتك؟

كبير العسس : (بخشونة) أمهلك ثلاثة أيام.. أفهمت؟.. يا حارس.

(يدخل الحارس من الجانب الأيمن)

ليس لهؤلاء حق الخروج.. أنت مسؤول عنهم.. (لسلمان) ثلاثة أيام فرصة كبيرة.. (للحارس) فلنذهب.

(يخرج كبير العسس من الجانب الأيمن)

الحارس : ثلاثة أيام لا غير.. وقتك قصير.. لو كنت مكانك لفعلت ما يأتي بالخير.

(يتبع كبير العسس)

سلمان : ماذا أفعل الآن؟.. ماذا أفعل؟

(يسير، لكن جافور وأعوانه الأوباش يعترضون طريقه من اليسار)

جافور: كنا نبحث عنك يا صبي.

تيمور: يسألك رئيس المخفر عن نتيجة الموضوع.

سلمان : (خائفا) أي موضوع؟

جافور: أمهلك ثلاثة أيام تفكر.. فما جوابك؟

سلمان : قلت له ذلك اليوم.. لا.. والآن جوابي هو هو.

جافور: (ضاحكا) أسمعتم يا شباب؟

(يحيط الأوباش بسلمان ضاحكين)

رجبك : لماذا اربدَّ لونك؟

سلمان : (بتخوف) النجدة..

رجبك : اخرس.

(يضربه، ويضربه الآخرون كذلك)

سلمان : مجانين.. دعوني.. دعوني.

جافور: اقطع كلامك.. مدده يا تيمور.

سلمان : النجدة.

صوت سليم : من يصرخ؟.. هاي.

تيمور: دعه.. يجب ألا يعرفونا.

جافور: كسِّر أضلاعه.

تيمور: (يشد يد جافور) أحدهم قادم.. هيا اهربوا.

(يهرب الأوباش راكضين.. يسقط سلمان من الإعياء.. يدخل سليم وحيدر من جانب آخر)

سليم : جاء الصوت من هذا الجانب.. هو ذا.

حيدر: ماذا حدث يا فتى؟

سلمان : (بصبر وجراح) لاشيء.. لم يحدث شيء.. وما تراه على جبيني ليس دما.. (بعصبية).. لم يحدث شيء أصلا.

حيدر: ربما نعالج الموضوع بعقولنا.. لو أنك تبوح بالذي جرى.

سلمان: ماذا نعالج؟ أتدرون ما الخبر أصلا؟

حيدر: طيب.. قل لنا.

سلمان: لا جدوى من ذلك.. خلال ثلاثة أيام، لم أنقطع عن قول ذلك لكل من رأيتهم فلم يصدقوني.. أتعلم لماذا؟ لأنهم لم يصابوا بما أصبت.

سليم: ولكن.. نكبنا نحن أيضا.

حيدر: نعم يا سليم.. قل له لماذا يتعقبونك.

سليم: لأنني رأيت في ذلك اليوم تبديلهم للكوز.

سلمان: طيب يا صعلوك.. أنت صرخت فمن أعانك؟ لا أحد.. أنت أيضا عليك أن تخاف على نفسك. (يخرج متألما.. هدوء)

سليم: أفهمته؟

حيدر: لقد صدق يا سليم.. عليك أن تهتم بنفسك.

سليم: وماذا أفعل؟

حيدر: عليك أن تبدل سحنتك.. حاول ألا تُعرف.

سليم: لماذا؟ ماهي الخطة؟

حيدر: يُغَيَّر.

سليم: (لا يصدق) لا؟

حيدر: أسمعت ما قال؟ ماداموا لم يصابوا فإنهم يقبلون هذا الوضع ويخضعون له.

سليم: لسنا على هذا النمط.

حيدر: من عيوب الخطة أنها لا تغير شيئا.. فلنفترض أنك أهلكت واحدا أو اثنين.. فماذا بعد؟ يهلك شرير فيحل آخر محله.. لا يا سليم علينا أن نحسن التفكير.

سليم: وكيف؟

حيدر: اهدأ.. ما هذا الصوت؟

سليم: أنا لم أسمع شيئا.. كلهم نائمون.

حيدر: علينا أن نهزَّ نومهم.. يجب أن نفتح عيونهم.

(يخرج الخراط من أقرب حجرة)

الخراط: (لزوجته التي في داخل الحجرة) اربطي الصرة يا سيدة، سأعود حالا. (يسير) يا سيد.. ألا تريد حجرة؟

حيدر: (لسليم) انتبه.

الخراط: واسعة ونظيفة.. كان ثمنها عاليا، لكنني سأبيعها بثلاثين دينارا.

سليم: ولماذا تصرُّ على بيعها لنا؟

الخراط: لأن الوقت فات.. وها هو ذا الصبح آت.

سليم: أتريد الرحيل عن بلخ؟

الخراط: هذا أمر القاضي.

سليم: وماذا فعلت؟

الخراط: لقد سهوت.. وكان علي أن أسعى لتقبيل يده.

حيدر: أمرك أن تذهب.. وأنت تنفذ.

الخراط: (يسير) يا سيد.. نحن شددنا الرحال.

حيدر: وكم إيجارها؟

الخراط: (يتوقف) ستة دنانير شهريا.. في نهاية كل شهر يأتيك الوكيل.

حيدر: قبلت.

سليم: وماذا نفعل بها؟

حيدر: (للخراط) هذا ثمن الحجرة.. ماذا عندك من ملابس خلقة؟

الخراط: (يعدو نحو الحجرة) يا سيدة.. ناوليني الملابس المهترئة.

حيدر: وهذا للملابس (يدفع نقودا للخراط).

الخراط: شيء لا قيمة له (يأخذ)... القفل على الباب. (لسليم) أيها الفتى إن لم ترد أن يعرفك أحد فعليك بتلطيخ وجهك بسواد المصباح... (يعدو نحو الحجرة) احملي يا سيدة وأقبلي.

صوت المرأة: وهل انتهى الأمر؟

الخراط: أجل.. أعطيني هذه.. وأنت هاتي الجعبة.. (لحيدر) تركت الفانوس والحصيرة، هما للحجرة.. (للمرأة) لماذا أنت واقفة يا امرأة؟ يجب أن نرحل.. لا داعي للبكاء.

سليم: الله معكم.

(يخرج الخراط.. تتبعه زوجته)

حيدر: هيا يا سليم.

سليم: أنا غير مرتاح لهذا العمل.

(يدخل الحجرة)

حيدر: لا تبرز عضوا من أعضائك.. وإذا حدث أمر تأتيني إلى دكاني مباشرة... كيف وجدت الملابس؟

سليم: يا...

حيدر: البسها!

(يبدو سلمان من الجانب الأيسر من أقصى المسرح.. وبيده فانوس وخلفه امرأتان محجبتان بعباءتين.. ليخرجوا من الجانب الأيمن.. يتقدم حارس من اليمين ويمنعهم)

الحارس: قف.. أأنت سلمان بن زيتون التاجر؟

سلمان: كلا.

الحارس: نعم أنت.. وهذه مرجان.. وهذه خادمتك جوهرة.

سلمان: والغرض..؟

الحارس: هذه ثاني ليلة تحاولون فيها الهرب.. وأكرر قولي لكم أيضا.. لايحق لكم الخروج.

مرجان: لماذا؟

الحارس: جاءنا أمر خاص.

(يقفز سليم خارجا من الغرفة بعد أن بدل ثيابه، ويبدو عليه الغضب.. يقبض حيدر على فمه)

حيدر: أتريد أن تُعرف؟

سلمان: كم تقبض لتسمح لنا بالرحيل؟

الحارس: ماذا؟ تتحدث عن الرشوة؟ بلخ بلد القانون.. هيا عودوا.

سليم : أرأيت؟

حيدر: اصبر يا رجل.

(يعود سلمان ومعه المرأتان من حيث أتوا)

حيدر: سأخبر الأصدقاء كي يجتمعوا.

الحارس : آهاي.. من هناك؟

سليم : (يغير صوته) هذا رجل قدم حديثا.. (إلى حيدر) نعم يا أخي إن لم يكن معك مال فعليك أن تنام في المسجد.

حيدر: الله معك.

(يخرج من مقدمة جهة اليسار.. يتقدم الحارس)

الحارس : ولماذا لا تنام أنت؟

سليم : لقد صحوت الآن.. فنحن قاب قوسين من الفجر يا سيد.

(يدخل بائع بعجلته من جانب)

البائع : السلام على جناب الحارس.

(يخرج من الطرف الآخر.. يدخل بائع جوال يحمل كيسا من إحدى الزوايا)

الجوال : السلام على جنابك.. قواك الله.

(يخرج من ممر آخر.. في الوقت نفسه يدخل البقال)

البقال : بسم الله الرحمن الرحيم.. أعوذ بالله.. (للحارس) يا الله.

(يفتح دكانه.. يدخل محرر العرائض في الوقت

نفسه)

محرر العرائض: السلام يا جناب الحارس.. كيف حالك؟

(يضع كرسيه ويمد بساطه(*).. ومن جانب آخر يدخل بائع عجوز وعلى رأسه قدر)

الشيخ: يا الله.. أتريد فولا يا سيدي؟

(تتلوه عجوز تحمل سلة خبز)

العجوز: عافاك الله أيها الفتى.. ساعدني.

(تنزل العجوز سلتها بمساعدة الحارس.. يدخل من هنا وهناك، فاكهاني يحمل كيسا من الفاكهة، محرر الرسائل بالكرسي والخرج، القفال بحقيبته، البائع المتجول يدخل بخردواته: مصايد فئران، مقشات، أسياخ، سلم بثلاث أرجل.. يفتح الإسكافي وبائع الملابس دكانيهما.. همهمة)

القفال: انظروا إلى هناك.

(ينصت الجميع وينظرون إلى السطح المقابل، فإذا بالقاضي يصلي على السطح)

الحارس: ما أعظم تديّن القاضي.. قاض ممتاز.

بائع الملابس: إنه رجل طيب يا عم.. لا يترك صلاته.

الإسكافي: كل ما تحدثوا عنه كان تخريفا.. وكل من يعيبه فهو مغرض.

القفال: ألا ترون هالة النور تحيط برأس القاضي؟

البقال: أرى أنه معصوم.

(*) يقصد بالبساط: ما يمد عليه بضاعته.

امرأة شابة : يا حضرة القاضي أغثني.

البقال : نهض القاضي!

(ينهض القاضي ويختفي عن الأنظار.. همهمة.. يخرج طيفور بالخرج وخدابخش بطبل صغير من باب الديوان)

طيفور : اقرع الطبل كي يتجمع الناس.

(يرتقي خدابخش المصطبة ويقرع طبله)

خدا بخش : هاي.. هاي.. اقرع الطبل لتجتمعوا.. اليوم مثل أي يوم كان قبل واحد وعشرين يوما.. قاضينا.. قاضينا العادل.. يجلس على مسند القضاء.. الفقير والغني.. العدو والصديق متساوون في عدله. سيف سياسته قاطع للجميع.. هاي.. هاي.. أقرع الطبل لتجتمعوا..

(يدخل الحارس ديوان العدل ومعه عدة أشخاص)

طيفور : كفى.. يكفي هذا اليوم.. (لخدا بخش) طف واجمع العرائض إن وجدت.

خدا بخش : العرائض..

النحاس : من هذا؟

محرر العرائض : إنه خدا بخش.

النحاس : مَن؟ ذاك الذي كان يقضم كسرة الخبز من غير إدام؟

محرر العرائض : (ممازحا) إنه لم يعد يعرفنا أصلا.

خدا بخش : أليس عندكم عرائض؟

النحاس: إنه يحسن الدلع أيضا!

(يسلم خدابخش العرائض التي جمعها إلى طيفور)

طيفور: سيحكم القاضي بالعدل على هذه العرائض قريبا.

(تدخل العجوز الشاكية، وقد أمسكت بيد الحداد وهي تلهث)

العجوز: تنحوا.. تنحوا.. أفسحوا الطريق.

طيفور: تأخرت اليوم أيضا يا أماه.

العجوز: كلا.. فمتى يحين دوري؟ منذ أسبوع وأنا آتية آيبة.. اعتراني التعب.

طيفور: لا تيأسي يا أماه.. ويجب أن تكوني أمهر مما أنت عليه.

العجوز: وهل مضى زمن على دخولك؟

(يخرج طيفور من الباب المقابل، ومعه خدابخش)

العجوز: لقد تعبت.. (باكية).. إني مسنة.

محرر العرائض: لا تتضايقي يا أم.. ابقي في مكانك.. إذا خرج القاضي للصلاة فتعلقي بثوبه واطلبي ما تريدين.

العجوز: تُرى هل يصغي إلي؟

محرر العرائض: إنه يصغي لشكاوى الجميع.

الحداد: حسنا، لقد جاءك الرزق.. كم تقبض على العريضة؟ وهل تُفتح العرائض أصلا؟ فاكتب له إنني بريء وأعيل ستة أشخاص.

العجوز: والذي قتلته كان يطعمني.

الحداد: أنا لم أقتله.

البقال : ليس الحكم بيدك... كل شيء سيتضح عند القاضي.

(سكوت)

النجار: (قلقا) أَدَخلَ عليه أحد حتى الآن؟ ما نوع هذا الإنسان؟ أهو رحيم؟

الأعور: ماذاك الصندوق؟ سمعت أن صندوقا إلى جانبه.

الإسكافي : ذاك لمساعدة الفقراء.

الحداد : (قلقا) ليس بالإجبار.

الفاكهاني : (للقفال) أية مساعدة؟ نحن لم نر شيئا.

الإسكافي : لا يحتاج إلى صفير ونفير.. القاضي لا يحب التظاهر.

الفاكهاني : عجيب.

الإسكافي : ولِمَ يعلنون للجميع؟ فللفقراء اعتبار أيضا.. من أجل هذا كانت الإعانات سرية.. بصورة لا يدركها أحد.

الفاكهاني : نعم.. حتى من يأخذ الإعانة.

الإسكافي : اسخر.. لا أدري لماذا بعض الناس سيئو الظن بلا سبب؟

النحاس : (لمحرر العرائض) في النهاية أتكتب العريضة أم لا؟ اكتب أخي العزيز..

محرر العرائض : أخي الكريم..

العجوز : فمتى يخرجون؟

الشيخ : فول مطبوخ.. عدس..

العجوز: توكلنا عليك يا رب.

الحداد: هنيئا لك.. أنت تتوكلين على الله.. أما أنا فأخشاه.

الشيخ: فول..

(تريث)

الأعور: لماذا لا يعود الذين ذهبوا؟ فليأت واحد فيخبرنا عما يجري هناك.

بائع الملابس: تصبَّر يا عم.. لا يرجع أحد من هذا الباب، فباب الخروج من الجانب الآخر.

النحاس: (لمحرر العرائض) الحياة ضيقة عسيرة.. اكتب، أريد العودة.

النجار: (للأعور) تعال اعف وتجاوز.. أنا خادمك.. لم أتعمد.. طار المسمار.. فما ذنبي؟

البقال: (للمرأة العجوز) بالله ماذا أقول؟ إن له طبيعة خاصة.. يقال إنه ملهم.

الحداد: (مستهزئا) لعله من المقدسين.

البقال: أنا عندي اعتقاد به.. حتى الآن لم يسئ التصرف معي.

الفاكهاني: لكنه يجعل كتاب القاضي الكبير تحت قدمه.. وهذا أمر لا يليق، فمهما كان القاضي حميد الدين فإنه كان أستاذه.

محرر العرائض: (يرفع رأسه) لُبُّ الكلام هنا.. لقد كان أستاذه، لكنه انحرف عن الطريق الصحيح.. هل اتضح لك؟

النحاس: ماذا؟

محرر العرائض : يكره القاضي الانحراف.. ولهذا فإنه يجعل الكتاب أمامه ليتذكر عاقبة الزلة.. إن كل خشخشة للكتاب تنبهه لئلا يغفل عن الصواب، وكأنه يقول له: تذكر موقفك في القضاء.. لاتشتبه.. إياك والغفلة.

الشيخ : فول..

الفاكهاني : هكذا إذًا!

محرر العرائض : أجل هكذا.. وهذا من سلامة إيمان القاضي.

(يدخل فراشان - يحملان رمحين وخلفهما القاضي، وخلفه طيفور وخدابخش - من باب الديوان)

الفراش : تنحوا.. تنحوا.. أفسحوا الطريق.

العجوز : أغثني أيها القاضي.

النجار : الأمان أيها القاضي.

الأعور : أنا الشاكي.. أنا الشاكي.

الفراش : ماذا تقولون؟ ألا تعلمون أن وقت المحكمة قد انتهى؟

طيفور : يا جناب القاضي.. استجب لطلب هؤلاء المساكين.

الأعور : نعم، العبادة الحقيقية هي هذا.. (لخدابخش) صندوق الفقراء.. (للفراش) دعهم يتكلمون.. واجبنا أن نكون لطفاء مع الناس.

الفراش : طبعا يا سيدي.

طيفور : سكوت.. سكوت.

(يعم الهدوء.. يخرج خدابخش).. يصعد القاضي

المصطبة)

القاضي : الذين يعرفوننا يعلمون كم نعاني حتى نطبق العدالة بكل دقة.. على أن لنا وظيفة أخرى غير العدالة.. هذه الوظيفة هي مد يد العون للمساكين. (متأثرا) ففي الوقت الذي ينام بعضنا مرتاحين شبعانين، يبيت أناس وهم محتاجون إلى الرغيف.. وهذا ليس عدلا.. ولهذا (لطيفور) قل أنت.

(يدخل خدابخش ومعه صندوق الفقراء)

طيفور : ولهذا فإن صندوقا يوضع إلى جانب القاضي.. وكل امرئ يتبرع فيه بالقدر الذي يشاء لينفق في سبيل هذا العمل الخير.

القاضي : كفى.. لا تتحدث عن المادة أكثر من هذا.. (للآخرين) حسنا، تكلمي يا أم بسرعة أكثر.

العجوز : أترى هذا الحداد أيها القاضي؟ كان زوجي يعمل عنده مدة عام، وقد بلغني أنه توفي منذ أسبوع.. وحين وصلت رأيت زوجي المسكين مقتولا بمطرقة هذا الرجل.

القاضي : عجيب!

الحداد : صدقني يا سيدي أن ذلك لم يكن عمدا.. فقد انفلتت المطرقة من يدي.

القاضي : الآن أوان العدل.. علي بسيف الانتقام.. آهاي.

الحداد : (يتقدم) ارحمني يا سيدي.. اعف عني. (يخرج نقودا) ربما حل بي البلاء لأنني لم أتذكر الفقراء..

(يلقي النقود في الصندوق) سيدي أنا عندي زوجة وطفل.

القاضي : لا يختلف الأمر.. لا يزول الدم إلا بالدم.. (يتريث) دعني أفكر.. كم حدادا غيرك في مدينتنا؟

الحداد : ولا واحد سيدي.

القاضي : هذا لا يجوز.. إن قتلناك بقينا من غير حداد.

الحداد : (سعيدا) صحيح يا سيدي.

القاضي : لابد لي من أن أفكر.. كم نحاسا عندنا؟

الحداد : النحاسون كثيرون يا سيدي.

القاضي : ألا يوجد نحاس في مجلسنا؟

النحاس : (بفرح وابتهاج) نعم.. أنا هنا.

القاضي : خذوه.

(يهجم الفراشون)

النحاس : ماذا؟ هناك خطأ حتما.

القاضي : (بغضب) خطأ؟ أي خطأ؟ ها؟ أأنت بريء؟ بريء؟ من يدعي أنك بريء؟ ألم تترك صلاتك أبدا؟ أو صومك؟ أقدَّمت عونا لبني جلدتك؟ أكنت تدفع جزيتك وخراجك في وقتهما؟

النحاس : أنا...

القاضي : اسكت.. إذا خلوت إلى نفسك فتذكر ماذا فعلت حتى انتقمت العدالة منك بهذه الصورة.. يا للأسف.. كلكم مقصرون.. وهذا غير خاف على العدالة.. خافوا، فإن سيف العدل ينزل على

رؤوسكم فجأة، وفي وقت لا تتوقعونه.. الثاني.

النحاس: سيدي.. سيدي.

القاضي: خذوه.. (لخدابخش) سجل في دفترك.. (للحداد) أيها الرجل، أنت وإن بدا عليك أنك بريء ظاهرا، وأن ليس للقانون عليك حكم، إلا أني أحكم على روحك بنار جهنم.. اغرب عن وجهي.. (إلى العجوز) أما أنت يا أم.. ماذا فعل زوجك حتى أصيب بمطرقة هذا الرجل؟

العجوز: زوجي؟

القاضي: لقد كان مذنبا بلا ريب.. وأنت تعلمين هذا جيدا.

العجوز: أنا؟

القاضي: (بحزم) خير لك أن تعودي وتدعي له.. (لخدابخش) ما أبهتك!

ضع علامة.. علامة الضرب، وخُطَّ فوقها بالخط الأحمر.. (للأعور) تقدم يا رجل.. (لخدا بخش) الخط الأحمر.

(قادوا النحاس.. خرج الحداد مسرعا من جهة، والعجوز الباكية من جهة أخرى.. دخل حيدر الصعلوك العجوز بزي متنكِّر بهدوء.. يسحب الأعور النجار)

الأعور: سيدي.. سيدي..

النجار: (يُفلت نفسه) دعني.. دعني..

(يقترب النجار من الصندوق ويلقي نقودا فيه)

النجار: شيء لا قيمة له.. لكنه قد يفيد المساكين.

القاضي: الله راض عنك يا فتى.

النجار: رضاكم يهمنا.

الأعور: استمع إلي يا سيدي.. لقد قلع هذا النجار عيني.

النجار: أقسم بأنه لم يكن من تقصيري.. لقد كنت..

القاضي: لا تتكلم.. العين بالعين.

النجار: لكنني يا سيدي نجار.. وحرفتي تتطلب عينين.

القاضي: وأنت أيضا معك حق. (لطيفور) من لا يحتاج إلى عين في نظرك؟

طيفور: أجل يا سيدي. الصياد حينما يصطاد يغلق إحدى عينيه.

القاضي: أحسنت.. فابحثوا عن صياد.. (لخدا بخش) ضع علامة في دفترك.

(للنجار) اذهب يا رجل.. مع أنك من وجهة القانون غير مقصر، فإنك من ناحية الأخلاق تُقرع بمقرعة الضمير.

الأعور: وي.. وي.. يا سيدي.

القاضي: أما أنت يا عزيزي.. قل لي إلى من نظرت بعين الشهوة؟ ماذا فعلت حتى أفقدتك العدالة عينك؟

الأعور: أنا يا سيدي؟

القاضي: لا يخفى شيء عن مرأى العدالة.. صارحني، ماذا فعلت حتى عوقبت بهذا العقاب؟

الأعور: أنا بريء.. لم أفعل سوءا.

القاضي : لا داعي إلى الاعتراف بذنبك هنا.. لكن على الأقل تُب في خليّة نفسك.. (ينهض) فلنذهب.

طيفور : نعم يا سيدي.. فقد كان وقت الصلاة.

الفراش : أفسحوا الطريق.

طيفور : (لخدابخش) احمل الصندوق إلى الديوان.

(يحمل خدابخش الصندوق.. يخرج القاضي وطيفور والفراشون من الجانب الأيسر.. يعقبهم نفر مسرعون.. صوت الطبل من بعيد.. آخرون يلملمون بُسُطهم.. يدنو حيدر الصعلوك من حجرة سليم)

حيدر : (لسليم) هيا اخرج يا خفاش.. قررنا أن نجتمع الليلة.

سليم : (يخرج رأسه) لماذا؟ بهذه السرعة حان وقت الثورة؟

حيدر : بالعكس.. يقال إنهم يغلقون الأماكن العامة ومواضع التجمع.. واليوم عينوا مراقبين.

سليم : (يغلق باب الحجرة) لماذا غيرت ملابسك؟

حيدر : تنبه.. أحدهم قادم.

(يخرج خدابخش من باب الديوان)

سليم : (يغير كلامه) عجيب حرارة هذه الأيام!

(يسير. عرف خدابخش حيدر.. فيتقدم مبتهجا)

خدا بخش : سلام.

(يمر حيدر وسليم من جانبه من غير سلام)

خدا بخش : سلمت عليكما.

(يتوقف حيدر عن سيره)

خدا بخش : أو لست حيدرا الصعلوك؟

حيدر : (يعود) ها.. من أنت؟

خدا بخش : ألا تعرفني؟ (يذكِّره) خدا بخش!

حيدر : هَيْ.. هَيْ.. (يبتسم) تغيرت كثيرا.

خدا بخش : (مسرورا) فقد عرفتني.

حيدر : يبدو أنك راض عن وضعك.. أليس كذلك؟ وأي ثياب!!

خدا بخش : أفي ذلك عيب؟

حيدر : كلا.. بل تليق بك كثيرا!.. وقد ترتدي يوما ثياب السيافين.

خدا بخش : (ممازحا) لا سمح الله.

حيدر : ولماذا لا؟ ألست منهم أيضا؟

خدا بخش : (لم يدرك) ماذا.. أنا؟

حيدر : ابتلينا جميعا بحفنة من السفاكين.. وأنت شريكهم.

خدا بخش : أنا؟ أنا لا شيء، أنا فقط أضع إشارة.

حيدر : علامة الضرب.. عليها خط أحمر.. أليس كذلك؟

خدا بخش : أنا مجرد موظف.. علي أن أضمن رغيفي.

حيدر : كل خبزا.. ولكن ليس بأي ثمن.. (لسليم) فلنذهب.

خدا بخش : حنانيك.. (يتعلق بكمّ حيدر) قل لي ماذا أفعل.

حيدر : أنت تعرف.

خدا بخش : أنا لا أعرف.

حيدر : (ينفصل عنه) لا أدري ما بك؟.. أنت تتحمل كل

شيء.. وتتقاضى منهم على عملك أجرا حسنا.. ثياب حسنة.. بطن ممتلئة.. فماذا تريد غير هذا؟

خدا بخش : لا أعلم.. (حائرا).. عندما تناسيتموني اعتراني الغم.. انتابتني حالة.

حيدر : لماذا ؟ وهل يختلف..؟ أربعة أيام أخرى ولن تتعرف إليّ.

سليم : (يعود مسرعا) احذر.. فقد وصلوا.

صوت كبير العسس: قف!.. قف!

(بينما كان حيدر وسليم يخرجان من مقدمة الجانب الأيمن يدخل كبير العسس وحارسان من الجانب الأيسر)

كبير العسس : قفا.. يا..

(يسرع الحارسان إلى الأمام، ويمدان رأسيهما)

حارس : اختفيا في الظلام.

كبير العسس : اتبعهما يا أحمق.

(يخرج الحارسان مسرعين.. يدنو كبير العسس من خدا بخش)

كبير العسس : أنت خادم القاضي.. أليس كذلك؟ ما رأيك بجائزة قدرها مائة دينار؟

خدا بخش : (مبتهجا) مائة دينار؟

كبير العسس : نحن نبحث عن صعلوك هارب يدعى سليم.

خدا بخش : (يتراجع) لا أعرفه.

(يتقدم رئيس المخفر من بعيد يرافقه حارس)

رئيس المخفر: من هذا الفتى يا كبير العسس؟

كبير العسس: إنه خادم القاضي الموثوق به يا سيدي.. (ضاحكا) هو منّا.

(يعود الحارسان)

الحارس: لم نتمكن منهما.

كبير العسس: أيها المخنثان.. اذهبا وتابعا البحث.. ولكن افتحا عيونكما.. تذكرا الأوامر.

الحارس الأول: أجل يا سيدي.. الأماكن العامة وساحات المنازل تغلق.

الحارس الثاني: الصعلكة ممنوعة.

الحارس الأول: إذا رأينا أحدا على هيئة الصعاليك قبضنا عليه.

كبير العسس: اذهبا!

(يسير الحارسان)

رئيس المخفر: (لحارسه) إلى أين تذهب من هناك؟

الحارس: منطقة دوريتي من هناك يا سيدي.

رئيس المخفر: لا داعي للدورية هناك الليلة!

كبير العسس: (متعجبا) يا سيدي رئيس المخفر..

(يخرج الحارسان من الجانب الأيمن. رئيس المخفر لخدا بخش)

رئيس المخفر: حسنا يا فتى.. ما دمت منا.. اذهب وابحث عن جافور وأعوانه.. إنهم في الحان حتما.. عجل!

(يخرج خدابخش من الجانب الأيمن)

كبير العسس: (قلقا) لا تفعل هذا يا مولاي.

رئيس المخفر: لماذا؟ ألديك وسيلة أخرى؟ لقد رأيتني بادئ الأمر أُظهر كمال صداقتي وحبي.. لكنها استصغرتني بجوابها.. إنني أحس بالاحتقار.. أشعر بالإهانة.. لقد ردت لي هديتي.. وهذه أول مرة يحتقرني فيها أحد ويسخر مني.. جاهي.. مقامي.. حتى إنني أرسلت لها شعرا (توقف) أريد أن أردَّ هذه الإهانة.

كبير العسس: الليلة؟

رئيس المخفر: لآخر مرة أرسلت الجواب بالرفض.

كبير العسس: عجبا.

رئيس المخفر: تؤجِّل الأمور حتى عودة أبيها.. لا تخرج من دارها.. إنها تظن أنها في مأمن تام.. هَهْ.. هَهْ.. سيتغير الوضع هذه الليلة.. على العكس تماما.. (هدوء) غدا صباحا ستطلب هي.. وأنا (تريث) لا أدري ماذا سيكون ردي.

(يعود خدابخش والأوباش)

كبير العسس: جاؤوا.

جافور: كنا قادمين يا سيدي.

رئيس المخفر: أين هراواتكم؟

جافور: تحت ملابسنا.

رئيس المخفر: حسنا.. تعرفون الأوامر.. دار زيتون التاجر.

جافور: بأي صفة نكسر الباب؟

رئيس المخفر: لا أدري.. قولوا: إن فيه مجتمع العزاب.. قولوا: افتضح الحي.. اسحبوها إلى المخفر بأي شكل.

تيمور: وماذا نفعل بأخيها؟

رئيس المخفر: أسكتوه.

جافور: رئيس المخفر يريد الفتاة فقط.

رئيس المخفر: (يعطي جافور كيسا) لا حاجة الليلة إلى حارس في ذلك الحي.. خذ، وإنني أنتظرك في المخفر.

جافور: (ضاحكا) لماذا أنتم واقفون يا شباب؟

(يخرج الأوباش الهراوات من تحت ملابسهم وهم يهللون، ويخرجون من الجانب الأيسر)

رئيس المخفر: (لخدا بخش) أتريد أن تذهب معهم يا فتى؟

خدابخش: كلا يا سيدي.. أفضل الذهاب إلى منزلي.

رئيس المخفر: يبدو أنك منزعج.

خدابخش: كلا يا سيدي.. صداع فقط.. (يبتعد) رأسي يؤلمني يا سيدي.

رئيس المخفر: ألم في الرأس.. هذا علامة غير جيدة.

كبير العسس: علامة طمع يا سيدي.. (يضحك).. فقدُ فقدَ الآن مائة دينار.

رئيس المخفر: هكذا إذاً .

كبير العسس: ليطمئن بالك من جهة الرجل.. إنه لا يرى شيئا، لا يسمع شيئا، لا يقول شيئا.

رئيس المخفر: (يسير) ليلة سعيدة إذاً يا جناب كبير العسس.

كبير العسس: مساؤك ونهارك سعيدان يا سيدي.

رئيس المخفر: (يتريث) ولكن.. كأن عندك كلاما.

كبير العسس: انتهى الأمر يا سيدي، ولم يعد بالإمكان تلافيه.

رئيس المخفر: (يسير مبتهجا) نعم.. صحيح.. (يقف) تلافي ماذا؟

كبير العسس: تغاضَ عنه يا سيدي.

رئيس المخفر: تكلم.. أأنت ترى ظلالا؟

كبير العسس: ظلال؟ كلا يا سيدي.. أنا لست متوهما.. إنني أعرف أحياء المدينة الاثني عشر معرفة تامة كما أعرف راحة يدي.. وأرى أن الناس في بعض الأحياء يحترموننا أكثر من اللازم.

رئيس المخفر: أو لعلهم يهابوننا.

كبير العسس: وقد يخفون وراء احترامهم الظاهري شيئا.

رئيس المخفر: هذا خطأ فاحش.. من ذا الذي يدافع عنهم في حالة الحرب؟ من ذا الذي يحافظ على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم إذا ناموا؟ لقد جرحت أربع مرات في ساحات القتال.. وأنا الذي خدمتهم، والآن لا أستطيع تحمل مراقبتهم لي.. إنني محتاج إلى التسلية.. إلى الحب، ولكنها مزقت أشعاري التي أرسلتها إليها.

كبير العسس: لا تغضب يا سيدي.

رئيس المخفر: وأنت نفسك يا كبير العسس تحرّم على نفسك النوم كل ليلة.. وكلما واجهت ظلا ارتعد قلبك.. لمن؟ لماذا؟ لهم. وإن ربحت شيئا فإنما هو مقابل خدمتك.. سنهرم أنا وأنت بعد بضعة أيام.. فلو أنك لم تدخر بعض الخواطر الجميلة وقليلا من النقود فماذا يكون مصيرك؟ من ذا الذي يعينك؟

من ذا الذي يتذكرك؟ لا أحد.. وسنموت من دون أن نفهم شيئا عن الحياة.. حسنا، أتريد أن يكون مصيرك هكذا؟

كبير العسس : كلا يا سيدي.

رئيس المخفر : لا يعرف هؤلاء الناس سوى الهذر والكلام.. اشرب الخمرة، ولكن في الخفاء. غنّ ولكن في مكان لا يسمعك فيه أحد. وفي المقابل قم بزياراتك المقدسة كي يتحدثوا عن إيمانك.. لم يخدعهم أحد، بل أنفسهم التي يخدعون.

كبير العسس : (يتجه نحو اليسار بسرعة) سمعت صوتا.

رئيس المخفر : صوت؟ (بسرور) ها.. صوت.. علي أن أذهب يا جناب كبير العسس.. تأخرت. (يسير) زرني في الصباح الباكر.

كبير العسس : سأزورك حتما يا سيدي.

(يخرج رئيس المخفر من أقصى الجانب الأيمن.. يسير كبير العسس، فيقع بصره على خدابخش المستلقي في أقصى اليسار تحت الجدار)

كبير العسس : (يضحك) ما بك؟

خدا بخش : قلبي يخفق يا سيدي.. مضطرب الحال كليا.

كبير العسس : أفضل لك أن تذهب إلى منزلك.

خدا بخش : أتضايق من منزلي.. أتضايق.

كبير العسس : هوم.. هذا كله من الوحدة.. اذهب إلى محلات الطرب وغنّ. (يبدو القاضي على السطح)

كبير العسس : السلام على مولانا القاضي.. ماذا تفعل فوق؟

القاضي : صعدت كي أصلي يا كبير العسس المحترم.. يبدو المرء أقرب إلى الله من هنا.

كبير العسس : فلا تنسنا في دعائك.. (لخدا بخش) منذ متى وأنت تعمل مع القاضي؟

خدا بخش : نعم؟

كبير العسس : يجب زيادة مرتبك.. سأكلم القاضي بذلك.

خدا بخش : فقل له أن يعفيني من عملي. لا أقدر على العمل.. لا أستطيع.

كبير العسس : (يضحك) لا تتضايق.. ستتعلم شيئا فشيئا.

خدا بخش : يميل قلبي أكثر إلى ما كنت عليه في السابق.

القاضي : يبدو أن حريقا شب في أحد الأمكنة القريبة.

كبير العسس : (ينظر يسارا) صحيح؟

القاضي : أرى لهيب الحريق.

كبير العسس : مثل هذا يحصل كثيرا سيدي.. أذهب لأتفحص.

(يخرج بسرعة من الجانب الأيسر.. سكوت. يجلس القاضي على السطح ساكنا، ومشغولا بالتسبيح.. يظل خدابخش مذهولا لا يعرف ماذا يفعل.. يحاول السير فلا يستطيع.. فيبقى ثم يجلس على طرف المصطبة من غير تصنع.. فجأة يبدو عليه الخجل، فيخفي وجهه داخل ركبتيه.. ويتحرك رأسه من البكاء بلا صوت.. يبدو حمال في مقدمة المسرح قد انحنى ظهره من حمل يحمله.. وبهدوء يدخل

من طرف ويخرج من آخر. وفجأة يطل القاضي برأسه)

القاضي : هاي.. ماذا تفعلان هنا؟

(من طرف السطح الأيسر يدخل سلمان ومعه مرجان، وهما ملتفان بقماش في اضطراب)

سلمان : (متضرعا) لا تصرخ يا سيدي.. دعنا نمر.

القاضي : عجبا.. فوق سطح الديوان؟ وأمام عيون القاضي؟

سلمان : أأنت القاضي؟ (بسرور) أنا ابن زيتون التاجر.

(يهرع خدابخش.. يثب واقفا)

مرجان : هاجم بيتنا أشخاص يا سيدي.. أترى النار؟

سلمان : لقد فررنا من سطح إلى سطح حتى وصلنا إلى هنا.

خدا بخش : فلم يقبضوا عليكما؟ (يصيح صيحة الفرح).. إلهي..

القاضي : ماذا يحدث تحت؟

خدا بخش : أنا يا حضرة القاضي.. إني ذاهب للنوم.

القاضي : لا.. ابق يا خدا بخش، فقد أحتاج إليك. (لمرجان) حسنا ياسيدتي.. أنت تلهثين.. وشعرك مشعَّث.

مرجان : قلت إن..

القاضي : أعرفت الفاعلين؟

سلمان : أجل.. كان جافور وبعض الأوباش.

القاضي : دع الفتاة تتكلم.. لماذا أنت ملتفة هكذا؟

مرجان : لقد كنت في فراشي.

القاضي: عجيب هذا المزيج.. نار ونور.. حرسكِ الله.. أنت جميلة جدا.

مرجان: إنهم يبحثون عنا أيها القاضي.

القاضي: لن أسمح لأحد بأن يمسَّك.. كلا.. أنا سأحميك.. ولكن حدثيني أولا عن أصل الموضوع.

خدا بخش: ها هم قادمون.. ها هم قادمون.

القاضي: أسرعي.. فالطريق من هناك.

(ينزلان مسرعين.. يدخل جافور من الجانب الأيسر، يتبعه الأوباش)

جافور: ألم تر أحدا هنا؟

رجبك: رجل وامرأة.

جافور: هذا يدَّعي أنه رأى سوادين على السطح.

خدا بخش: أجل.. مرّا من هنا.

رجبك: ألم أقل؟

جافور: هيا يا شباب.

(في الوقت الذي يخرجون فيه من الجانب الأيمن بأصواتهم، تدخل امرأة ملتفة بملاءتها من الجانب نفسه)

تيمور: توقفي يا امرأة في منتصف الليل.. امرأة من أهل الهوى.

رجبك: اذهبوا، سألحق بكم.. (يتوقف أمام المرأة) يا سيدتي.. أمعك سكر نبات؟

(تعطف المرأة سيرها.. يتقدم خدا بخش)

رجبك : لنا قلب ذواه الهوى.

(يتقدم ليجرَّ ملاءتها، فتقع المرأة من الذعر إلى الأرض جانب خدا بخش)

رجبك : ربما تهواك.

خدابخش : واللهِ..

رجبك : (ضاحكا) لن نبخل عليك.. هنيئا لك.

(يخرج ضاحكا.. تحاول المرأة النهوض فتسقط ملاءتها، فإذا هو النحاس)

خدابخش : أهذا أنت؟

النحاس : صه.. لا ترفع صوتك.

خدابخش : أولستَ النحاس السجين؟

النحاس : (بهدوء) لو أني لم أهرب لكان دوري يوم غد.. أفهمت؟ (يتريث) مابك؟ ما الذي أدهشك؟

خدابخش : (مشيرا) الملاءة.

النحاس : نعم.. سخرية. إنك لم تقع في مثل هذه الورطات.. (مبتعدا) كأنك لم ترني..

(يخرج بحذر.. يظل خدابخش مدهوشا.. يخرج طيفور من الباب المقابل، وهو يتلفت نحو الأطراف)

طيفور: (بهدوء) كلا يا سيدي.. لا أحد هنا.

(يدخل القاضي وخلفه سلمان ومرجان)

القاضي: مع الأسف.. بقاؤكما هنا غير مناسب.. ولكن اذهبا إلى منزل خدابخش (لخدابخش) تقدم.. (لسلمان) إن خدابخش خادمي الذي أطمئن إليه.

مرجان : اعذرنا.. فقد اضطررنا.

خدا بخش : بيتي لا يليق بكما.

سلمان : مهما يكن الأمر فإنه آمن.

القاضي : أنت تعلم رمز الليلة، أعني كلمة السر، يا خدا بخش.. وهذا خاتمي، تبرزه إذا لزم الأمر.

سلمان : هيا يا مرجان.

مرجان : أخشى أن يعرفونا.. حتما سيعرفوننا.

خدا بخش : هلما.. (يخلع عباءته) لن يعرفكما أحد في هذه الجبة والعباءة.

سلمان : فكرة حسنة.. (لخدا بخش) أشكرك.. (لمرجان) ارتدي.

القاضي : (لسلمان) اذهب إلى عملك في الصباح كالمعتاد، شرط ألا يعلم أحد طريقك ومأواك.. ضلّلهم.. وراجعني غدا حتما، إذ علينا أن نتباحث في موضوع ما، مباحثه موسعة.

خدا بخش : (بهدوء) هيا بنا.

سلمان : ليلة سعيدة يا سيدي.. توكلنا عليك يا رب.

(يخرج خدابخش وسلمان ومرجان من أقصى الجانب الأيسر، والقاضي واقف يتبعهم بنظرة مذهولة.. يدنو طيفور منه)

طيفور : سيدي.. كأنك نسيت أن تنام.

القاضي : (مضطربا) صدقت يا طيفور.. (يتنبه فجأة) اخرس!

طيفور: ماذا حدث يا حضرة القاضي؟

القاضي: علي أن أكون أكثر حذرا أمامك.. أترى رئيس المخفر كثيرا؟

طيفور: لم أفهم قصدك.

القاضي: تفهم جيدا.. إن وضعك الآن خطر يا طيفور.

طيفور: لماذا يا سيدي؟

القاضي: فأنت الوحيد الآن الذي يعرف مخبأ الفتاة.. وبما أنك صديق لرئيس المخفر فلابد أنك ستخبره عنه.

طيفور: كلا يا سيدي.

القاضي: أتعلم لماذا اخترت حاملِي الهراوات الأبكَمَيْنِ؟ إن وضعك في غاية الخطورة يا طيفور.

طيفور: لن أبوح بشيء يا سيدي.. أقسم بلبن أمي.

القاضي: هذه الأم التي أقسمت بلبنها تخدمني الآن في داري.. فإن نسيت قَسَمَكَ سترمي نفسها في البئر.. أفهمت؟

طيفور: أجل يا سيدي.

القاضي: ذكّر أن أدفع لك جائزتك.

طيفور: (بتملق) حاذر يا سيدي، فرئيس المخفر رجل عنيف.

القاضي: لكنه ليس أحمق يا طيفور.. فإذا تتبعنا مسألة حريق دار زيتون افتضح أمر رئيس المخفر.

طيفور: صحيح يا سيدي.

القاضي : قل لهم أن يغضّوا نظرهم عن هذا الطائر.. أسمعت؟ إنه يخصني.

(صوت طبل من الخارج.. يخرج القاضي من باب الديوان)

طيفور : سأبلغ أمرك غداً سيدي..

(يخرج طيفور، ويدخل المنادي من جانب آخر)

المنادي : أطبل للنهوض.. أنادي نداء السحور.. لقد مضت ليلة أمس بهدوء.. لم يتسلق أحد جدار أحد.. ولم يُرَق دم أحد في ممر مظلم.

(يدخل كبير العسس ومعه جافور من أقصى اليمين)

الأعراض في أمان.. العدل سائد.. الأمل دائم.

كبير العسس : إنني مستعد لأن أكافئك ضعف ما تتقاضاه، لتحافظ على بقاء صوتك المنكر.

المنادي : (بقلق) سلاما سيدي.

كبير العسس : لماذا بصوتك هذا لم تصبح بلبلا؟

المنادي : سأدرس هذا الموضوع يا سيدي.

(يخرج من اليمين مسرعا.. ويضحك جافور عليه)

كبير العسس : اضحك!

جافور : (يسد فاه) عفوا يا سيدي.

كبير العسس : بماذا تجيب رئيس المخفر الآن؟

جافور : أقول: وقع الحريق صدفة.

كبير العسس : صدفة.. هه..! حركة الفرس على رقعة الشطرنج

دون جدوى! تهدمت القلعة، لكن الطائر طار.. لم يكن المقصود أن يقع ما وقع.. أنتظر الآن حملة منه.. سيشتكي في الصباح المبكر.

جافور: عليّ؟

كبير العسس: لا سبيل لك إلا أن تهجم عليه قبل أن يهجم عليك.. آنئذ سيضطر إلى الدفاع بكل قواه.

جافور: أيسمح لي جناب رئيس المخفر؟

كبير العسس: يرغب رئيس المخفر في دخول ابن زيتون السجن.

جافور: فلنفعل هذا اليوم.

كبير العسس: أحسنت.. والقاضي معنا. زملاؤك الآن على باب مكتب سلمان ينتظرونه.. طلع الفجر.. مَنْ هنا؟

(يدخل خدا بخش)

خدا بخش: أنا يا سيدي.

كبير العسس: أنت؟ أبلغ القاضي أن جافور ورفاقه لديهم شكوى عنيفة اليوم في المحكمة، ويتوقعون عون القاضي.

جافور: إني ذاهب لأتدبر الأمر.

(يخرج جافور)

كبير العسس: (لخدابخش) هيا .. في هذه الرسالة علامة بيني وبين القاضي.. اعطه إياها.

خدا بخش: علي أن أقرع الطبل للتجمع.

كبير العسس: لا داعي لذلك.. فالأمور تسير على مجاريها من غير طبل أيضا.. انظر.. بزغ الفجر.. أصبح الصباح.. سيتجمع الناس ويزدحمون شيئا فشيئا..

وحـــالما تشـــرق الشـــمس يزدحم النـاس هنـا..
وحينذاك.. حينذاك..
(يدخل البـاعـة المتجـولون وأصحـاب الدكـاكين إلى المســرح من كل جـانب فـجـأة.. زحـام وضـوضـاء.. يســحب الأوباش سلمــان من نهـاية المســرح على الأرض.. وخلفـه أشـخـاص يستـهـزئون به.. يسـرع خـدابـخش فـيــدق باب الديوان.. يســارع حـملة الهــراوات والفــراشـون بالخــروج من باب الـديوان.. يهـاجم بضـعة أشـخـاص سلمـان.. يدخل خـدابخش الديوان)

كبير العسس : مهلا عليه.. فإن بلخ بلد القوانين.

جعفر : سيدي.. الكل يشتكي من هذا الفتى.

رجبك : لابد من إعدامه.

جعفر : كلا.. بل يجب نفيه قبل كل شيء.

جافور : أرى أن يُحمل على الحمار مقلوبا.

كبير العسس : سكوت.. هنا القاضي هو الذي يحكم.

(يدخل القـاضــي مــن بـــاب الديـــوان.. يتـبعـه خدا بخش)

القاضي : مـا أجـمل الشـمس!.. نشـرع يومنا بخـبـر سـار.. فلينصـرف الشـهـود.. اذهبـوا إلى أعـمـالكم.. لأن قَسَم المشتكي كاف.

رجبك : يحيا القاضي.

القاضي : ادخلوا.. اسرع.. تبدأ المحكمة.. (لخدا بخش) اقرع

الطبل.

سلمان : (يجلس على ركبتيه).. نجِّني أيها القاضي.

القاضي : (يلحظ سلمان) عجيب! أهذا هو المتهم؟

الفراش : مهلا.. (إلى القاضي).. ماذا حدث يا سيدي؟

القاضي : توقف (وفي يده رسالة كبير العسس) إنني في ضيق عجيب.. (يضحك بلاجدوى) من ذا الذي يجب رجمه؟ (لخدا بخش) ها؟ (للأوباش) يعرفكم الجميع.. أنا لا أريد أن أعيد ما يقال عنكم همسا خشية أن تُخدش المحكمة .. (يسير) لابد من التصميم.. (يتوقف) ترى هل جرائم هذا المتهم كبيرة إلى هذا الحد بحيث إنكم لا تعدلون عنها؟

جافور : هذا الفتى فاسد الأخلاق.. يتغزل بنساء الحي، ويعرض عليهن عشقه.

رجبك : هذا شيء يسير.. إنه سارق.. قاتل.

جعفر : قاتل.. قاتل.

القاضي : (فجأة) اسكتوا.. من قال إنهم يكذبون؟ (سكوت)

القاضي : لا فائدة من النكران.. لقد سمعت بأذنيَّ هاتين.. كأن أحدا قال إن هناك مؤامرة.. (لخدا بخش) أما سمعت؟

خدا بخش : (مجبرا) بلى يا سيدي.

جافور : (بغضب) من قال؟

القاضي : نعم.. أجب.. (تريث).. ولهذا فلا يمكن الحكم.

رجبك: ولكن يجب أن نعمل شيئا.

القاضي: أعندكم دلائل دامغة تضمن ظفركم؟

جافور: نعم يا سيدي.

القاضي: فلنطرح الدعوى أمام الحضور. لندع الجميع يشهدون انتصار الحق.. (إلى الفراشين) الكرسي.. صندوق الفقراء.

رجبك: يحيا القاضي.

القاضي: لنبدأ.. يجلس الجميع عدا المتهم وأصحاب الدعوى الثلاثة.. أيها المتهم، قف هنا.. وأنتم الثلاثة قفوا في صف واحد.. وأنتم يا أصحاب الهراوات راقبوا المتهم كي لا يهرب.

جافور: أحسنت.. (لسلمان) وقعت في المأزق.

رجبك: لا خلاص له.. السجن المظلم حتما.

(يأتي الفراشون بالكرسي والصندوق.. يوضع الكرسي على المصطبة)

القاضي: طيب.. (لجافور) ابدأ أنت.

جافور: (ضاحكا) سيدي.. قبل بضعة أيام جاءني هذا الفتى العابث إلى معصرتي يطلب خمرا.. ولم يكن عندي خمر.. فهاجم حصاني فانقلعت عينه.

سلمان: أي حصان.. أي معصرة؟

القاضي: أغلق فمك أيها المتهم.. (لجافور) أجبه.. ما نوع حصانك؟ بغل أو برذون؟

جافور: واللهِ...

القاضي: إذاً لا هذا ولا ذاك.. طيب، أكان سميناً أم ضامرا؟.. أسود أم أبيض؟ داكنا أم أبلق؟.. ثمينا أم رخيصا؟

جافور: الحقيقة..

القاضي: إذاً لم يكن سمينا تماما ولا ضامرا تماما.. يمكن أن يكون أحمر اللون.

جافور: (بفرح) صحيح يا سيدي.

القاضي: كم يقدر ثمنه؟

جافور: مائة وعشرين دينارا.

القاضي: قل لهم أن يحضروا الحصان فورا.

جافور: (مندهشا) نعم؟

القاضي: تقسم الجواد نصفين هنا.. تدفع نصفه الأعور إلى هذا الشاب، وتأخذ منه ستين دينارا.

جافور: هَيّ هَيّ.. يموت الحصان إذا شطرناه!

القاضي: لن يموت إذا ما غضضت طرفك عن شكواك قبل تقسيمه.

جافور: (غير فاهم) ماذا أفعل؟

القاضي: أنت بحاجة إلى حصان لتثبت صحة كلامك.. أسرع.. أحضر حصانا ليس سمينا كثيرا، ولا ضامراً كثيرا.. ويجب أن يكون أسود وأبيض.. كما يجب أن يكون أعور.

جافور: ومن أين آتي به؟

القاضي: من معصرتك.

جافور: (بعصبية) أسحب ادعائي.

(ضوضاء. ضحك هنا وهناك.. يخرج جافور مسرعا مغتاظا)

القاضي: (لخدا بخش) لا داعي لوضع الإشارة.. فقد سحب دعواه إذ لم يكن هنالك حصان ولا معصرة..

(لجعفر) جاء دورك.

جعفر: والله يا سيدي.

القاضي: أنت بنظري رجل شريف ومستقيم.

جعفر: (بسرور) صحيح يا سيدي؟

القاضي: بالتأكيد.. ابدأ.

جعفر: أنا جزار يا سيدي.. منذ أيام، وبينما كانت زوجتي عائدة من الحمام، وهي في شهرها الأخير، دفعها هذا الرجل الخليع.. وقعت زوجتي على الأرض فأجهضت.

سلمان: (يقفز من مكانه) كله كذب و بهتان.

جعفر: (باكيا) سيدي.. تعبت أربع سنوات حتى جاءنا هذا الطفل.

القاضي: معك الحق.. يجب تعويض هذا.

جعفر: (مسرورا) روحي فداك.. لك الشكر.

القاضي: الجنين الذي تقول إنه أُجهض كان صبيا أو بنتا؟

جعفر: صبيا.

القاضي: حسنا.. تأخذ هذا الفتى إلى بيتك، وتحسن ضيافته.. وبعد أن تشفى زوجتك تدفعها إلى الفتى

ليعدَّ لك صبيا.

جعفر: ماذا تفضلت؟

القاضي: إن أنجبت صبيا فهو المطلوب.. وإن كان المولود بنتا فعلى زوجتك أن تحمل ثانية.

جعفر: (مغضبا) لم أفهم ما قلت.

القاضي: فإذا كان المولود الثاني صبيا فقد بلغت المقصود، وإن كان بنتا فقد بلغت المقصود أيضا، فحسب الشرع الأنثيان تعادلان ذكرا.

جعفر: لقد ثارت ثائرتي.. ما هذا الكلام؟

القاضي: هذا لصالحك!

(يضحك الحضور.. يخرج كبير العسس مغتاظا)

جعفر: سأفتح فاهي الآن وأقول ما يجري على لساني.. لقد تراجعت عن حقي.

القاضي: ولكن الشاب لن يتراجع عن حقه.

جعفر: دعوني أذهب.. أنا أصلا لا زوج لي، ولا دار، ولا طفل.

القاضي: فقد كان ما قلت كذبا.. خمسون دينارا غرامة الكذب.

(ضوضاء الحضور.. يقدمون الصندوق)

العجوز: عشت أيها القاضي.. إنك تضرب على أيدي هؤلاء الفتوَّات.

الشيخ: اصمتي يا امرأة، ولا تصنعي لنا خصوما.

(يدفع جعفر الدنانير، ويسعى للخروج مغضبا)

القاضي : (لرجبك) إلى أين تذهب؟

رجبك : ليس لي دعوى.

القاضي : وكيف؟ عطلت هذا الفتى عن عمله نصف اليوم، ثم تدعي أن لا شكوى لك؟

رجبك : والله ليس لي.

القاضي : سيكلفك هذا كثيرا إن لم تقل.

البقال : لماذا أنت متوقف؟ لا تخف.

كاتب العرائض : دبر شيئا وقله.

(يضحك بعضهم)

رجبك : لي بستان.

الفاكهاني : كذب.. يكذب.

(يضحك الجميع)

رجبك : ماذا أقول؟ هذا شاب ممتاز.. إنما جئت لأشهد لصالحه.. (ينظر إلى القاضي) كم يجب أن أدفع يا سيدي؟

القاضي : غرامة الكذب خمسون دينارا كما هي العادة.. وبما أنك اعترفت بنفسك خصمنا عنك عشرة دنانير.

رجبك : (مسرورا) أشكر لك معروفك.

العجوز : أطال الله عمرك أيها القاضي.. لقد أحرقتهم.

الفاكهاني : أنا أعرف جميع هؤلاء.. كلهم فتوّات بلخ.

بائع الملابس : يحيا القاضي.

الفراش : .. هيا تفرقوا.. اذهبوا إلى أعمالكم.

(همهمة.. ينهض القاضي.. يذهب رجبك.. يخرج

الفـراشـون بصندوق الفـقـراء من باب الديوان..
السـاحـة مـبـعـثـرة.. الجـمـيـع مـسـرورون.. يـحـل
خدابخش يدي سلمان من قيده)

سلمان : (مقبلا يدي القاضي) أدام الله ظلكم.. نورت نهاري أيها القاضي.

القاضي : (يسحب يده) ماذا تفعل؟

سلمان : لقد أنقذتني.

(يدخل حارسان مسرعين)

الحارس الأول : هيا.. يا الله.. أفسحوا الطريق.. (للمنادي) لماذا لا تقرع قرع تفريق؟

المنادي : وأي طبل في هذا النهار المشرق؟

الحارس الأول : طبل المغرب.. عجل.. (للآخرين) عجلوا.

العجوز : أي مغرب؟ الشمس منتشرة.

الفاكهاني : بقيت ساعة حتى الغروب.

الحارس الأول : لا تتدخلوا في أوضاع الليل والنهار.. وصلتنا الأوامر بحلول الغروب، ولا يمكننا مخالفة الأوامر.

القاضي : (للحارس الثاني) ما الخبر؟

الحارس الثاني : (يضرب رجله بالأخرى) بدءاً من هذه الليلة الطريق مغلق يا سيدي. يبدو أن رئيس المخفر يرغب في ذلك.

القاضي : عجبا.

(صوت تطبيل المنادي.. كلٌّ يسير في جهة)

المنادي : أقرع الطبل.. تطبيل تفرق.. حان وقت الغروب..

(ينظر إلى السماء) أو سيحين.. عودوا إلى منازلكم بهدوء.. أعراضكم في أمان.. العدل مستتب.. الآمال راسخة.

(تخلو الساحة من الباعة.. يخرج المنادي والحرس أيضا)

القاضي : (ضاحكا) ما أبهج الغروب!

الحارس الثاني : (يضرب رجله بالأخرى) أجل يا سيدي.. وقد بزغت بعض النجوم.

(يخرجون)

القاضي : فلنذهب.

سلمان : إني مرهق يا سيدي.. أتسمح لي بالانصراف؟

القاضي : أرغب في التحدث معك قليلا.. تعلم يا سلمان أنني جلبت لنفسي عداوة البعض بالدفاع عنك.

سلمان : إني خجل يا حضرة القاضي.

القاضي : لا.. لا.. لست نادما.. كيف حال مرجان؟

سلمان : تدعو لك خيرا.

القاضي : أريد أن أكمل حمايتي لكما.. يعني أنني أريد إنقاذها من يد رئيس المخفر.. (ضاحكا) هل تدرك قصدي؟

سلمان : (منزعجا) أجل يا قاضي.

(يخرج تاركا القاضي مندهشا)

القاضي : أين ذهب؟

خدا بخش : يبدو أنه انزعج.

القاضي: فليخسأ.. لقد أنقذته من أيدي زبانية رئيس المخفر.

خدا بخش: غير أنك فعلت فعلتهم.

القاضي: (غير مصدق) ماذا قلت؟

خدا بخش: (خائفا) عذرك يا سيدي.

القاضي: ليس هذا كلامك.

خدا بخش: زلَّ لساني.

القاضي: إن كررته قطعت رزقك.. أجعلك تبكي دما عوضا عن الدمع.

خدا بخش: نعم يا سيدي.

القاضي: إن مرجان في منزلك.. عليك أن تحادثها.

خدابخش: عذراً.. لم أفهم.

القاضي: لم تكن هكذا ياخدابخش.. كنت تفهم أوامري جيداً.. فافهم الآن أيضا.

خدابخش: حاضر ياسيدي.

القاضي: عليك أن تقنعها.. أسمعت؟ ولك فرصة خمسة أيام فقط.

خدابخش: اعذرني أيها القاضي.. اعذرني.

القاضي: ماذا حدث لك؟

خدابخش: رأسي يؤلمني.

القاضي: لم يكن الصداع يصيبك قبلا.

خدابخش: ولقد تغيرت الحال الآن.

القاضي: لم تكن كذلك مطلقا (يمسك بجيبه) أنت..

(يلقنه بتأنٍّ) بحاجة إلى حياتك.. تفعل ما آمرك به.. وظيفتك أن تؤدي خدمتك.. وإن أمرتك بأن تموت تموت.

خدابخش : نعم يا سيدي.

القاضي : (يتركه) خمسة أيام فرصة.

(يدخل رئيس المخفر ومعه الحارس)

رئيس المخفر : أصحيح ما بلغني أيها القاضي؟ بلغني أنك حكمت على من هم في حماي؟

القاضي : أجل.. فقد أرادوا أن يحكموا على من هو في حماي.

رئيس المخفر : (غير مصدق) في حماك؟

القاضي : إن كنت تريد مني أن أجلب لك العسل من خلية النحل لابد أن يكون لي منه سهم.. (يضحك) ذلك الكوكب هو من طالعي يا سيدي.

رئيس المخفر : تنبه.. فأنت تضرب الحجر بالزجاج.

القاضي : وهناك من ينخل الريح.

رئيس المخفر : ماذا قلت يا أبا القاسم؟

القاضي : أنا لست أبا القاسم يا سيد.. أنت تخاطب القاضي.

رئيس المخفر : (بصبر) أيها القاضي.. لقد تحملت كثيرا لأمتلك تلك الجوهرة.. وقد صرفت عليها، وتجشَّمت المشاق.. أهي الآن في حوزتك؟

القاضي : نعم.

رئيس المخفر: سأشهرها بسوء السمعة.

القاضي: لابد أن تعلم أني أنا الذي يحاكم المتهم.

رئيس المخفر: وتعلم أنك ستحكم عليها بالرجم.

القاضي: أو تريد أن تختلق شهودا؟

رئيس المخفر: إن لم أمتلكها فالأفضل أن تُرجم.

القاضي: مادام الأمر هكذا فإني أحكم عليها بالرجم.. ولن أدعها بين يديك.

رئيس المخفر: نحن الذين صنعناك قاضيا.. ونحن أيضا نقدر على تهديمك.

القاضي: فات الأوان يا سيد.. فأنت مدين لي.. إن آخر ما تناسيته هو حريق دار زيتون التاجر.. فضلا عن بيوت نجباء بلخ.

رئيس المخفر: (حائرا) فعلا.. الدور دورك. (للحارس) فلنذهب.

(يخرج مع حارسه.. يعود القاضي إلى خدا بخش)

القاضي: كيف رأيت ردي؟

خدابخش: لم يكن بعدم الموافقة يا سيدي.

القاضي: على أيِّهما؟

خدابخش: على كليهما.

القاضي: حسنا.. عليك أن تؤدي امتحانا آخر.. قل لي: أأنت معي حقا أم لا؟

خدابخش: (مستعطفا) يا حضرة القاضي..

(يجلس القاضي على الكرسي.. ويقف خلفه اثنان حاملان هراوتين)

القاضي : يجب أن تقبض على سلمان وتبلوه.

خدابخش : أنا؟

القاضي : حين يحل الصباح سيسحب طيفور ابن زيتون إلى هنا.

(يجر طيفور سلمان من يسار المسرح بعنف)

القاضي : عليك أن تدعي عليه.. تطالبه بما عليه من ديون.

خدابخش : أنا.. أنا يا سيدي؟

القاضي : (يصرخ) خذوه إلى السجن المظلم! بسرعة!

(يهجم حملة الهراوات على سلمان ويأخذونه)

سلمان : (لخدا بخش) يا عديم الشرف.. يا قاتل الضيف.. لقد بعتني.. أنت فاسد حتى العظم.. أنت.. أنت..

القاضي : خذوه!

(أخرج طيفور وحملة الهراوات سلمان من باب الديوان)

خدا بخش : ولكن يا سيدي.. ما جدوى طرحه في السجن المظلم؟

القاضي : (يسير بتؤدة) لن يمضي يومان حتى تجيء مرجان لتتشفع لأخيها.. وهي بلاشك ستخضع لشروطي.

(يخرج القاضي من الباب الأمامي.. سكوت.. يجلس خدابخش على حافة المصطبة. يُفتح باب غرفة من ناحية اليسار بهدوء.. ويخرج منها حيدر الصعلوك.. سكوت)

حيدر : حسنا أيها الشاب.. أأقدمت على هذا العمل

بنفسك؟ أصِرْتَ حد سيف الظالم الحاد؟

خدا بخش: (في نفسه) كنت أتمنى أن أظل حمالا في الشارع.. كنت آنئذ لا أعرف شيئا.. كنت مرتاحا.

حيدر: لماذا تفكر في تلك الأيام؟ تلك أيام لن تعود.

خدا بخش: أجل.. (تريث) وماذا أفعل الآن؟ وكأن ما أفعله يحرمني عيشتي.. بماذا تنصحني أن أفعل؟

حيدر: قد يضطر المرء إلى التغاضي عن أمور أيها الشاب.

خدا بخش: (متخوفا) يعني.. هل أخاصمه؟

حيدر: (يتجه إلى الخلف) أنت أدرى.

(سكوت.. يدخل حمال من مقدمة المسرح، قد انحنى ظهره من حمل ثقيل.. ثم يخرج من الطرف الآخر)

المشهد الثاني

(الساحة نفسها.. الوقت مساء.. كبير العسس ومعه حارس على المسرح)

الحارس : (ينقلب راجعا فجأة) أرى سوادين يا سيدي.

كبير العسس : أنت دائما ترى سوادا.

الحارس : كلا يا سيدي.. هذه المرة أرى بشكل صحيح.

كبير العسس : (واضعا يده على مقبض السيف) من أنت يا..؟

صوت رجبك : آهاي..

كبير العسس : نحن يا سيدي.. أين أنتم؟

رجبك : هنا.. هذا الطرف.. (للحارس) أعد السيف إلى غمده.. هو من جماعتنا.

(يدخل رجبك من اليمين مضطربا)

سيدي.. سيدي.. ضربوا جافور كي يهلكوه.

كبير العسس : ماذا فعلوا به؟

رجبك : هو سيئ الحظ.. لو لم نعثر عليه لكان في قبره غدا.. صدقني.

كبير العسس : ماذا تقول؟

رجبك : أقول الصواب يا سيدي.. ها هو ذا قادم.

(يدخل جافور من الجانب الأيمن.. يرافقه أحمدك وقد تأبط ذراع جافور)

جافور : دعني.. (ينفصل عن أحمدك بشدة).. دعني.

أحمدك : تقع.

جافور : (يدور رأسه ويتوقف) أنذال.

كبير العسس : (ضاحكا) انظر إلى الفتوة.. لا أراك مضروبا.

جافور : (محتدا) اضحك.. أنت لم تكن هناك.. أنا كنت.

(يتوقف عن الحديث فجأة لوجع اعتراه..

يمد يده نحو رقبته.. يتقدم أحمدك لعونه)

كبير العسس : كم نفرا كانوا؟

أحمدك : لا يعلم.. لم ير جافور العزيز أحدا.

جافور : أخذوني على حين غرة.. كمنوا لي.. (متألما).. بينما كنت عازمًا على الشرب وقع أحدهم على رقبتي كالأجل الهابط.. وحين فتحت عينيَّ كان قد حل الظلام.. (يثور) هذه نذالة.. لقد ضربني من الخلف.

أحمدك : (يسليه) نعم نعم.. نذالة.. وماذا عن الحربة؟

جافور : (متوحشا) ضربها على صدري بطولها.

كبير العسس : الحربة؟

جافور : (مغتاظا) حربتي (يستلها من غمدها) ها هي.. (تريُّث.. حيرة الآخرين)

كبير العسس : فلِمَ لم يطعنك؟

الحارس : كنت سأسأله السؤال نفسه.

كبير العسس : لابد لهذا الأمر من سر.. كان بإمكانه أن يطعن من دون أن يعلم أحد.

رجبك : لعله كان يقصد أن يقول هذا..

كبير العسس : ماذا؟

رجبك : إنه يقصد.. لا أدري.. ربما قصد أن يقول: كنا

نستطيع ولم نفعل.. أو ربما أراد أن يهدد.

الحارس : (يضحك) أراد إخافة جافور.

جافور : (غاضبا) أنا؟

رجبك : وربما كان يريد تأجيجه وإثارته.

كبير العسس : هذا من عمل الصعاليك.. أسمعت أيها الحارس؟ ماذا كنتم تفعلون؟

الحارس : (خائفا) نحن لا ذنب لنا يا سيدي.. إنه من فعل الصعاليك.. فقد عملوا لهم خلايا سرية!..

كبير العسس : أكانت لهم شارات؟

الحارس : أجل يا سيدي.. ولكن منذ أغلقنا مراكز تجمعهم رفعوا شاراتهم.. فلم نعد نميز الصعلوك من غيره.

كبير العسس : لم يعد هناك فرق!.. يقول الأمير القائد: حين ينسى الناس وجود الرئيس والقائد يجب تذكيرهم.. أريد بعض العصاة.. أسمعت؟

الحارس : (ضاحكا) أقدمهم مكتّفين.

كبير العسس : فلنزل أثر هذه الحادثة.

(يذهب الحارس إلى حراسته.. يظل جافور ساكتا حائرا.. وهو يحدّق بحربته)

أحمدك : (ضاحكا) يطلبك جناب كبير العسس يا جافور العزيز.

جافور : (أبكم) لماذا لم يطعن؟

أحمدك : لو أنه طعنك لما كنت هنا.

جافور : أفضل.. (مغموما) بلا جدوى كلهم هنا.. لعلهم

اختفوا.. لعلهم غيروا هيئاتهم.. لا أدري.. لا أدري.

كبير العسس: (ضاحكا) أحاطت به الأوهام.. قم لنذهب يا رجل!

أحمدك: نذهب إلى المومسات.

الحارس: (فجأة) يأتي أحدهم.. حاذروا..

(يتجه الجميع بأنظارهم نحو الجهة المشار إليها.. والحارس في حالة الاستعداد بحربته)

الحارس: قف.. قف.. لا تتحرك.

صوت طيفور: رمز الليل: المطرب الحسن الغناء.

الحارس: لكنهم حتى الآن لم يقرعوا الطبل السابع.. كلكم سجنائي!

(يدخل طيفور ومعه حاملا الهراوات الأبكمان.. يدهش الحارس)

طيفور: (ضاحكا) تنبه حتى لا تسقط على الأرض.

الحارس: (قلقا) سلاما سيدي.

(يضحك حاملا الهراوات بشدة من غير صوت)

طيفور: سلاما يا كبير العسس.

كبير العسس: (مغتاظا) أودعكم!.. (لجافور) لنذهب.. (لرجبك وأحمدك) أعيناه!

(يسيرون)

طيفور: (لرجبك) ماذا جرى؟

رجبك: لا نحتاج إلى فضولي.

طيفور: أشكر لطفك.. آسف ان جئتكم بهدية.

أحمدك : (يلتفت) هدية؟

(يتريث الباقون)

طيفور: (يخرج كيسا) هذا ما أرسله القاضي لكم.

رجبك: (غاضبا) هذا لطف منه.. سلمت أياديه.. (للباقين) التقصير كله منه.. فلو أنه لم يستهزئ بنا في المحكمة لما جرى ما جرى.

أحمدك: (يوضح) كان جافور العزيز في الظلام..

جافور: صحيح ما يقول.. وما ذلك الاستهزاء؟ وما هذا التقدير؟

طيفور: يسعى القاضي إلى تلافي ما وقع.. (يمد الكيس نحو أحمدك) كلاهما سياسة.

أحمدك: (ضاحكا) لا بأس به.. (يمد يده) بإذنك...

كبير العسس: مهلا.. (لجافور) تعلم أن الأوضاع تغيرت.. إن أنت أخذت تضايق رئيس المخفر.

طيفور: وإن رفضتُ استاء القاضي.

جافور: (حائرا) فماذا أفعل؟

كبير العسس: قرر ما تراه.

جافور: ماذا معي؟ يبدو أنه لا يمكن رفضه ولا يمكن قبوله.

كبير العسس: كان علي أن أقول إنك إن قبلتَ وبَّخَك رئيس المخفر.

طيفور: وإن رفضت كانت عليك عسيرة.

أحمدك: الحقيقة أن الإكرام لا يجوز رفضه.. ونحن نريد أن نعيش.

كبير العسس: فأنت تتحمل ما يصيبك يا جافور.. (للحارس)

فلنذهب.

جافور: اسمع يا سيدي.. (يسير) انظر..

(يظل متوجعا.. يخرج كبير العسس والحارس من الجانب الأيسر)

طيفور: (يقدم الكيس) هاكَ.

جافور: دعني.

طيفور: فأقول: إنه رفض.

جافور: (مصمما) هاتهِ.. (لأحمدك ورجبك) سأقنع رئيس المخفر بنفسي.. هيا.

(يخرجون من الجانب الأيسر)

طيفور: (ينظر إلى السماء) طلع الفجر.

(حامل الهراوة يطفئ الفانوس.. يتجه ثلاثتهم نحو الديوان، ولكن فجأة يتعلق حامل الهراوة الآخر بكمّ طيفور، ويشير بيده الأخرى إلى باب الديوان)

طيفور: من غير صوت.

(يتوقف الثلاثة.. يخرج سلمان بتؤدة من باب الديوان وهو يتلفت حوله.. وفجأة يهرع طيفور وحاملا الهراوات نحوه)

طيفور: إلى أين؟

(يسرع سلمان نحو الناحية الأخرى مرعوبا.. لكنه يحاصَر)

طيفور: أتهرب من قبضة العدالة؟

سلمان: بالله عليك أن تصمت حتى لا يستيقظوا.

طيفور: أعِدك بألا يعرف أحد.. يا الله!

(يقبض حاملا الهراوات على سلمان)

طيفور: هيا.. كتّفوه.

سلمان: دعوني.. (راجيا طيفور) دعني أذهب.. هب أنك أعتقت عبدا.. (مكث) أعطيك مالا.. أعطيك ما تريد.

طيفور: (لحاملي الهراوات) شددوا عليه!

سلمان: (واهنا) هناك رطوبة.. ظلام.. سأفنى هناك.. (لحاملي الهراوات) يا عديمي الإنصاف.. بماذا أسأت إليكما؟

طيفور: إنهما لا يجيبان!

سلمان: على الأقل استمعا إلي.

طيفور: نحن نؤدي واجبنا ليس غير.

(صوت قرع الطبل من بعيد)

- وهذا هو الطبل السابع.. بقي واحد.. واجبنا أن نتسلم الحراسة.. (لسلمان) تحرّك.

(يقبل القاضي مضطرباً بالفانوس من باب الديوان)

القاضي: ماذا حدث هنا؟.. أأنت طيفور؟

طيفور: نعم أيها القاضي.

القاضي: لما ينته حظر التجول.. فما هذا التجول؟

طيفور: لقد حصلنا على الغنيمة يا سيدي.

القاضي: (يلمح سلمان) عجيب! (يتقدم حائرا) قيل لي إن

الهرب من ذلك السجن مستحيل.

طيفور : أجل يا سيدي.. إنما يقع هذا لمن له أياد وأذناب.

القاضي : طيب.. من الذي ساعدك؟

سلمان : لا أحد لي.

القاضي : (غاضبا) أليس لك؟

طيفور : في الصدق منجاة.

سلمان : (جازمًا) إنما قلت الصدق!

القاضي : هكذا إذًا..! امنعوا عنه الطعام اليوم.

سلمان : كلا أيها القاضي.. (ملتمسا) لا أعلم.. صدِّقني.. (بأمل واهٍ) عندما نهضت من النوم رأيت الباب مفتوحا نصف فتح.. خرجت فرأيت الحارس غارقا في نومه.

القاضي : (يكرر) الباب مفتوح نصف فتح.. الحارس نائم.. (لطيفور) ابحث لي عن خدابخش!

(يذهب طيفور مسرعا.. يدفع حاملا الهراوات سلمان)

القاضي : لا تعجلوا.. (مشفقا) دعوه يتنسَّم الهواء العليل.. دعوه يمتع ناظريه بالسماء.. (يحدق إلى بعيد الفجر الكاذب!

سلمان : (بكراهية) ماذا تدبر لي أيها القاضي؟

القاضي : تدبير؟.. (يتظاهر بالاستغراب) لم أقصد أن يؤول الأمر إلى هذا.. أنت نفسك السبب في هذا.. والآن أنت نفسك تريد العودة إلى السجن لا أنا.. (بهدوء)

عودة سببها الحمق.. الحمق! كان عليك أن تفهم
حتى الآن.. الشعر يشيب.. الأسنان تسقط..
العظام تنتخر.. العيون تضعف.. الجبين..

سلمان : كفى.

القاضي : .. وكل هذا يتم في أقل من نصف عام!

سلمان : (ملتمسا) أيها القاضي.. مرهم أن يطلقوا سراحي.

القاضي : (مسرورا) بشرط.. بشرط أن تحادثها.

سلمان : (جزعا) كما تشاء.

القاضي : غدا صباحا!

سلمان : غدا صباحا.

القاضي : وهي ستوافق حتما.

سلمان : ربما توافق.

القاضي : ستوافق إن شئتَ.. إن قلت لها أن توافق.

سلمان : نعم أيها القاضي.. حتما.

القاضي : حتما ماذا؟.. حتما ماذا؟

سلمان : أن تكون هي مكاني.

القاضي : (مندهشا) ماذا؟

سلمان : أن تأتي إلى مكاني.. إنها توافق على ما تكره. ثم.. ثم ماذا ياأيها القاضي؟ أجل .. يبيضّ الشعر، تسقط الأسنان، تُنتخر العظام، الجبين..

القاضي : (بعنف) كفى!

(سكوت. يدخل خدابحش. القاضي مغتاظ. يرفع رأسه بصعوبة)

القاضي : (بثقل واختناق) كانت أيام شبابي مُرة.. ما كان يُعتنى بي.. ومع كل هذا كنت أتوقع أن أكون شيئا، فاضطررت إلى أن أفتح عيني أكثر، وأتغاضى عن أشياء كثيرة، وأعزف عن الهوى.

سلمان : وتسعى الآن إلى تلافي ذلك.

القاضي : وهذا يفيدكم!.. وسيكون القاضي في صفكم... بحمايتي ستعلو داركم إلى قامة شجر البان، وتحصلون على مكاتب تجارية عديدة في السوق، وتعقدون صفقات أعظم، وأعفيكم من دفع الضرائب، أنقذ أسرتكم من الإفلاس، حتى.. إنني آخذ بأيديكم معي إلى الجنة في الدار الآخرة.

سلمان : أنت جعلت دنيانا جحيما.. ألا يكفي؟

القاضي : (متعجبا) ماذا؟ لقد كنت تتوسل إليّ!

سلمان : (واهنا) لن أتوسل بعد الآن أيها القاضي.

(يسير القاضي فيتبعه حاملا الهراوات)

القاضي : هذا عمل لا معنى له.. ستعود بنفسك لإنقاذها من غياهب السجن.. في حين أنها ستأتيني طالبة إنقاذك.

(يدخل طيفور قلقا.. يخرج حاملا الهراوات بسلمان)

طيفور : سيدي.. سيدي حريمك قلقات ثائرات.

القاضي : عد إليهن وحاول ألا يعرف هؤلاء الثرثارات شيئا عن الموضوع.

(يخرج طيفور مسرعا.. ولم يبق غير خدابخش واقفا كالشبح. يحاول القاضي أن يسيطر على أعصابه.. يضحك من غير جدوى)

القاضي: من الذي كان حارسا في الديوان هذه الليلة؟ أنت!.. وفي ليلة حراستك بالذات يحاول أن يهرب.. (مؤكدا) تُرى ألم يساعده أحد في نظرك؟

خدا بخش: بنظرك.. هل ساعده أحد؟

القاضي: أكنت تفرح لو أنه هرب؟

خدا بخش: (يخفض رأسه) أيها القاضي.. لقد ألقيتُ القبض عليه.

القاضي: (مغضبا) وما أهمية هذا؟.. أنت أديت واجبك.. أسمعت ياحيوان؟.. (مغتاظا) منذ أيام وأنا أنتظر تلك الفتاة، وعيناي معلقتان في طريقها، في حين أنك تتسلى بالتقاط الحب والصيد.

خدا بخش: يا قاضي.. إنها لا تطيق ذلك.. إنها ستنتحر.

القاضي: مَن..؟ مرجان؟

خدا بخش: إنها غارقة في البكاء بلا انقطاع.

القاضي: و.. لابد أن بكاءها جعلك تهواها.

خدا بخش: كلُّ هدفي أن أتلافى الظلم الذي أوقعتُها به.

القاضي: كذب.. لماذا لا تصرح عما يعتلج في فؤادك؟ بل لعلك وقعت في هواها.

خدا بخش: ما هذا الكلام؟

القاضي: فإن لم يكن هذا فأقسم.

خدا بخش : دعني..

القاضي : أقسم!

(سكوت)

القاضي : (مندهشا) هكذا إذاً؟ كان علي أن أتوقع هذا.. أنت تستحق الوحل الذي كنت غارقا فيه.

خدا بخش : دعني أعد إلى هناك.. اعفني مما أنا فيه.

القاضي : لا.. فأنت الآن تعلم كل ما أخفيه وأعلنه.. لقد صرت على علم بالأمور، فعليك أن تبقى حتى النهاية.. أين يقع منزلك؟

خدا بخش : ماذا؟

القاضي : عليك أن تُخلي دارك مساء الغد.. سأذهب إلى هناك.

خدا بخش : إلى داري؟

القاضي : أنتظرك عند الغروب.. وعليك أن تدلني على الطريق.

خدا بخش : لكن داري طاهرة أيها القاضي.

القاضي : سآتي بملابس أخرى.. أسمعت؟

خدا بخش : كلا!

القاضي : بل سمعت.. وعليك أن تنفذ ما قلتُ تماما.. وستنقذ مرجان حياة أخيها بهذه الطريقة فقط.

خدا بخش : (باكيا) أيها القاضي.

القاضي : ماذا دهاك؟ أداهمك الموت؟ كان عليهما ألا يرفضا منذ البدء. لقد كان اقتراحي هذا طلبا للثواب..

أردت أن أمد لهما يد المساعدة وأنقذهما.. أفهمت؟
سأنتظرك غدا عند المغرب.
(يدخل رئيس المخفر والأوباش من الجانب الأيسر)

رئيس المخفر: أسعد الله أوقاتك أيها القاضي.
(توقف القاضي بعد أن عزم على المسير.. الأوباش يضحكون.. وخدابخش متخوف)

تيمور: (ضاحكا) نحن الآن نعرف بدورنا مكان اختبائها.

القاضي: أهذا أنت يا رئيس المخفر؟

أحمدك: عدنا لنعيد لك هديتك.. (يضعها في يد خدابخش) ولم يعد بيننا حساب.

رئيس المخفر: حسنا يا جافور.. الفتاة في منزل خدابخش.. أتعرف هذا؟

أحمدك: لقد تتبعته مرة.

جافور: فلماذا تتأخرون يا شباب؟.. تحركوا.. (لرئيس المخفر) أنحضرها إلى المخفر؟
(يثب خدابخش فجأة)

خدا بخش: مهلا!..
(يتريثون)

خدا بخش: (بحذر) أردت أن أقول شيئا.. وعليكم الآن أن تصغوا إلي.

أحمدك: (ساخرا) ما هي خطتك المفتعلة التي تريدها؟

رئيس المخفر: دعه يعبِّر عما يريد.. (لخدابخش) قل!

خدا بخش: لا أحد في داري.. أبدا!

(هدوء..ينظر إليه الجميع بغرابة)

القاضي : ألا يوجد؟

رئيس المخفر : ماذا تعني؟

خدا بخش : لقد فرت من المنزل.. هربت قبل ليلتين سرا.

جافور : إني متأكد من كذبه.

خدا بخش : إن كنت متأكدا، فلماذا لا تذهب إلى المنزل وتقلب عاليه سافله؟

جافور : سأذهب حالا.. وسترى.

خدا بخش : فتعال.. وخذ معك هذا.. (يمسك مفتاحا)

جافور : (يتوقف) وما هذا؟

خدا بخش : مفتاح داري.. (يتوقف) خذه.

جافور : (بوهن) يناولني المفتاح!

رئيس المخفر : دعني أرَى.. (لخدابخش) لماذا هربت؟

(هدوء)

رئيس المخفر : تكلم!

خدا بخش : (يخفض رأسه) أعتقد أنها علمت بأني أسأت لأخيها.

تيمور : (مستهزئا) أنت الذي أسأت إليه؟ سلمت يداك.

(ضحكات الأوباش من هنا وهناك)

القاضي : (غاضبا) هكذا إذاً! هذا أمر لا يصدق.. منذ ليلتين خلتا اختفت.. ومن ذلك الوقت وأنت في اضطراب.

جعفر : لعله كان خائفا.

القاضي : والآن ماذا؟ لعلك تحدثت الآن حين أحسست

باشتهار الموضوع.. ما رأيك يا جناب رئيس المخفر؟

رئيس المخفر: أنا حضرة القاضي على علم ببوابات المدينة.. فلا يمكن أن تكون خرجت.

القاضي: فعلينا أن نبحث عنها.

رئيس المخفر: (إلى الأوباش) هيا بنا لأرى الموقف.

(يحيط الأوباش برئيس المخفر)

القاضي: (لخدابخش) حسنا أيها الحيوان.. آمرك بالتقدم! (يسحبه إلى الجانب) تقدم!.. (بهدوء) أحسنت.. كانت لعبة بارعة منك.. (عاليا) سترى مكافأتك.

خدا بخش: (بهدوء) ولكن.. لم يكن هناك خدعة.

القاضي: (يصرخ) عض على لسانك يا حيوان.. أعرفك جيدا خيرا مما تعرف نفسك.. (بهدوء) قل الصدق، وإلا شهّرت بك.

خدا بخش: (خائفا) أجل.. كان ذلك خدعة.

القاضي: (عاليا) ناولني الكيس.. إذ لست لائقا به حتى الآن.. (بهدوء) لا تنس الغروب.. (عاليا) عليَّ أن أعطيك درسا جيدا يا حيوان.

تيمور: ولكننا لا نعلم مخبأها.

جافور: علينا أن نقتفي أثرها.

رئيس المخفر: يجب ألا يشاع هذا الخبر.. أسمعتم؟

القاضي: ما هي خطتك يا رئيس المخفر؟

رجبك: (مسرورا) شيء ما.. (يتقهقر) كلا.. لا يجدي.

جافور: ماذا كان في خلدك؟ قل.

رجبك: اسمع.. عندما تشرق الشمس نذيع أن رسولا قدم من قِبَلِ أبيها، و.. حَلَّ في الموضع الفلاني.. ثم ننتظر هناك.. ولابد أن تظهر أينما كانت.

جعفر: .. وهي إن لم تأت بنفسها سترسل من ينوب عنها.

جافور: أحسنت يا رجبك.. (إلى رئيس المخفر) عند ذلك نتعقبه، فنعثر عليها.

رئيس المخفر: أحسنت!.. كيف حالك يا جافور؟

جافور: أشعر بتحسن يا سيدي.

رئيس المخفر: فباشروا إذًا.. وتأتون بها إلى هناك.

جافور: سمعا وطاعة.

القاضي: إلى أين يا جناب رئيس المخفر؟

رئيس المخفر: عليك أن تعلم أن ابنة زيتون إذا فتحت فاها وقعنا جميعا في خطر.. ولهذا فأنا مضطر للقبض عليها.

القاضي: (ضاحكا) ذريعة حسنة.. غير أنها لم تَفُه بحرف حتى الآن!

رئيس المخفر: ماذا؟ أو تريد منا أن ننتظر حتى تملأ الدنيا بأنبائها؟... اسمع يا جافور.. حالما تعثر عليها عليك أن تخبرني فورا.

جافور: الأمر أمرك يا سيدي.

القاضي: إن فعلت هذا يا جافور قذفتُ بك إلى البراري.

رئيس المخفر: (حائرا) ماذا قلت أيها القاضي؟

القاضي: كلامي واضح يا رئيس المخفر.

رئيس المخفر: أهكذا؟.. (لجافور) إن لم ينته العمل حتى غروب يوم غد فسترى بعينيك ما ترى.

جافور: ماذا ياسيدي؟

القاضي: ابتعد عن الموضوع يا جافور، إن تدخلت ثانية اجتثثت جذرك.

جافور: (ينحني) رأسي.

أحمدك: ما بك يا جافور العزيز؟

القاضي: أنت غصن منخور لا يتأثر بكسره أحد.

جافور: جسدي..

رئيس المخفر: إنه ذاق زادي أيها القاضي.. (لجافور) إن أنت تنحَّيت أيها الرجل فكأنك عارضتني!

القاضي: أنت هدمت دورا كثيرة يا جافور.. فحاذر أن أسلمك إليهم.

رئيس المخفر: إنه يعمل على هواي يا قاضي.

القاضي: كلا يا سيدي.. لأنه لو ظهر حتى غروب يوم غد لعلقته على برج الساروج بتهمة الشغب والفوضى.

جعفر: جافور.. جافور..

جافور: (يدق الأرض بقدمه) دعني.. دعوني..!

رئيس المخفر: إن تمردت يا جافور.. إن تهربت.. أركبتك بالمقلوب على الحمار، وأمرتهم بتمرير الحبل من بين كتفيك، وقيادتك في المدينة.

القاضي: «على فكرة»، إن عندنا سيافا لجرائم مثل إشعال النار في منازل الناس، وإن للسياف نطعا وفأسا

يا جافور.

رئيس المخفر: (بعصبية) تعال إلى المخفر بسرعة!

(يخرج غاضبا)

القاضي: فكر جيدا بكلامي يا جافور.

(يخرج بهدوء.. سكوت)

جعفر: حسنا.. ماذا نفعل نحن الآن؟

(يستل جافور حربته فجأة ويدقها على الأرض ويجلس قربها)

جافور: أف لهذه اللقمة الدنيئة التي من أجلها علينا أن نحمل الهراوة لكل شقي عنيد.. إنهم يحطموننا لأنهم لا يقدرون على بعضهم بعضا.

تيمور: هذه حال الدنيا.. فلا تبتئس يا جافور.

جافور: أزعجتَ الجميع ونفَّرتهم من نفسك طوال حياتك.. ولماذا؟ حتى يُكرهوك على شقي آخر.. تعسا لك، فلا أنت كسبت دنياك ولا أنت غنمت آخرتك.. وفي النهاية يهجم عليك شقي يمزق بطنك، ويجعلها وجبة للكلاب.

أحمدك: (لتيمور) ماذا حدث لجافور العزيز؟

جافور: إن كل أوصالي تؤلمني.. وأنا مصاب بدوار.

تيمور: انهض لنذهب ونشرب الخمر.

جافور: من الآن.. لست من أهلها.

تيمور: لست؟

(صوت طبل من بعيد)

جافور: (يخاطب نفسه) زال الحجر.. هذا طبل السحور.. يجب أن يفتحوا أبواب المدينة الآن.. (ينهض) سأرحل عن هذه المدينة.. أذهب إلى مكان لا يعرفني فيه أحد.

جعفر: (مسرورا) أجل.. فلنذهب يا جافور العزيز.

تيمور: أوجننت؟ نحن معيلون.

تيمور: (سائرا) من شاء فليأت.

(يلحق به رجبك وجعفر.. يخرج الثلاثة من الجانب الأيمن)

تيمور: (صارخا) إلى أين؟ سيمنعونك عند باب المدينة يا جافور.

أحمدك: لا تصرخ بلا جدوى.. إنهم يعرفون جافور.. ولن يمنعه أحد.

(توقف)

تيمور: (بذهول) لقد ذهب حقا.

أحمدك: علينا أن نُبلِّغ.

تيمور: نعم.. (يحمل حربة جافور) ولكن نذهب أولا لنحتسي كأسا على ذكراه.

(يسير فيقع بصره على خدابخش وهو حائر.. لا يتكلم، ينظر إلى حيث ذهب جافور مذهولا)

أحمدك: لماذا توقفت؟ اذهب أنت أيضا واعمل شيئا.

(يخرجان من الجانب الأيسر، بينما ما زال خدابخش متابعا بصره خلف اتجاه سير جافور..

من اليمين يدخل حمال منحني الظهر من حمل ثقيل، ويخرج من اليسار، فيتعلق خدابخش بجيب قميصه كالمجانين)

خدابخش : أنا لست أسوأ حالا من جافور، فقد بَيَّن حسابه.. فلماذا لا أفعل أنا ذلك؟

(ينظر الحمال إليه خائفا صامتا)

خدابخش : إنني أنقذ تلك الفتاة.. إني واقف بثبات على الأرض.. لا أقدر على مجاملة الطرفين.. أتفهم؟

الحمال : كلا يا سيدي.

(ينظر خدابخش لحظة بذهول إلى الحمال، ثم يتركه راكضا نحو الركن الأيسر.. يتوقف فجأة)

خدابخش : في رأيك تأخرنا؟

الحمال : لا أعلم يا سيدي.

(يخرج خدابخش مسرعا من الزاوية اليسرى.. يحك الحمال قفا رأسه، يهز رأسه غير فاهم.. ثم يحمل حمله ويسير. سكوت.. يخرج الحمال. صوت زقاء ديك من بعيد.. من أقصى الجانب الأيمن يدخل سليم الصعلوك في هيئة بائع خبز حاملا طبق الخبز، ويتجه نحو حجرته.. يفتح الباب، ويضع الطبق ويدخل... يدخل بهدوء رجل لابس جبة طويلة سوداء، ملثم بقماش أسود.. متردد.. يصل إلى وسط المسرح بخطى وئيدة، لكن عينيه موجهتان نحو الديوان. زقاء الديك من بعيد..

يدخل بائعان بهدوء، فيقع بصرهما على الرجل المرتدي السواد.. يمران ويمدان بساطهما في إحدى الزوايا. يفتح بائع آخر دكانه بهدوء في زاوية أخرى.. فيقع بصره على مرتدي السواد، غير أنه ينصرف عنه، ويجلس على طرف بساطه.

يدخل حيدر الصعلوك من الممر الأمامي على يسار المسرح، وقد علق على كتفه مصيدة فئران ومكنسة وسيخ ومنقل، متظاهرا بأنه بائع متجول وبيده عكاز.. ينظر حوله، ومن ثم يجلس إلى جانب الجدار، وبهدوء يقرع باب حجرة سليم بالعكاز.. يخرج سليم من حجرته، فيقع بصره على مرتدي السواد.. يندهش لحظة ويفكر. يجلس ساكنا على طرف الدكان، وظهره نحو الساحة، ويخاطب حيدر وسليم بهدوء)

سليم: لماذا جلست ها هنا؟

حيدر: هه.. لأني لا أريد أن أُداهم على حين غِرَّة.

سليم: أحدث أمر؟

حيدر: رحل جافور.

سليم: (مبتهجا) سلمت أياديهم.. هذا نتيجة شطارة صعاليك الميدان العتيق.

حيدر: وقبضوا اليوم صباحا على اثنين منهم.

سليم: (غير متوقع) لا؟

حيدر: هاجموا بيوتهم، لم نعلم من الذي وشى بهم..؟

(تريث) دع الكلام.

سليم: نعم.. فلندعه.. (يخفي خوفه) إن قبضوا عليّ فلن أبوح بشيء.

حيدر: لن يعرف هذا قبل أن يقبض عليك (يجيل النظر حوله) تكلم!

سليم: أقلقتني.

حيدر: لماذا أرسلت في طلبي؟ ماذا كنت تريد أن تقول؟

سليم: نعم.. (ينظر فيما حوله) غدا سيقرعون بالعصا سبعة أشخاص أمام الناس.

حيدر: بلغني أن ذلك لتأخرهم بدفع الضرائب.

سليم: هذا ظاهره، أما حقيقة الأمر فهي أنهم أضربوا عن العمل، وأغلقوا حوانيتهم حزنا على موت القاضي الأكبر.

حيدر: ما دام الأمر كذلك فعلينا أن نذيعه بين الناس.

سليم: من المقرر أن يتحدثوا اليوم بهذا الشأن.

حيدر: يتحدثون؟

سليم: نعم.. سيتحدث القاضي اليوم، وسيدور كلامه حول الجريمة والغرامة بحيث يجعل كل سكان الأرض مجرمين.

حيدر: انتبه!

(يمد سليم رأسه نحو الساحة.. يدخل بائع آخر بصمت وهدوء، يقع بصره على مرتدي الثياب السوداء، ثم يمضي ويبسط بضاعته)

حيدر: لماذا سكتَّ؟

سليم: شغلني أمر.. هو ذاك!

حيدر: مَن؟

سليم: تعال انظر.. منذ حين وهو واقف هناك.

(يطل حيدر على الساحة)

حيدر: تهدأ الساحة يوما بعد يوم.. أكثر فأكثر.

سليم: هل عرفته؟

حيدر: كأنه ينتظر شيئا.. (تريُّث) الساحة هادئة جدا.

(يدخل الفاكهاني بسلّة.. يقع بصره على مرتدي السواد الذي كان واقفا من غير أي حركة)

الفاكهاني: ألا تريد فاكهة يا عم؟

(يغير مرتدي السواد اتجاهه.. وينزوي في جانب)

طيب.. فإن كنت لا تريد فلا تنزعج.

(يذهب إلى بضاعته.. تريُّث)

سليم: بلا نفع.. سنعتاد كل ما يصيبنا، ففيه نفعنا. حتى إننا لا نعجب بعد ذلك.

حيدر: بلغت نداءاتنا مسامع صعاليك المدن المجاورة.. إنهم سيعينوننا إن لزم الأمر ووقع مكروه.

سليم: لن يحدث شيء.

حيدر: مابك؟

سليم: أما زال هناك؟ (تريُّث) أريد أن أصرخ.

حيدر: حسنا.. اصرخ.

(تريث.. وفجأة يعدو سليم نحو وسط الساحة

(ويصرخ)

سليم: هَيْ.. خبز ناضج.. خبز ساخن.. خبز طازج.. هاي.

(ويصيح الباعة فجأة.. والصخب يتصاعد)

الأصوات: - فاكهة الجنة.. من بساتين الجنة!

- عدسيَّة.. بطاطا..!

- ملابس ممتازة..!

- أحذية فاخرة..!

- قبعات جيدة..!

- حراج والله.. !

- هاي.. هاي.. هلموا، فقد رخص الثمن.

(يحمل سليم طبقه على رأسه ويدور به حول الساحة)

سليم: ألا تريدين يا أم؟.. ألا تريد يا أب؟ ألا تريدين يا أخت؟

خبز ساخن.. خبر طازج.

الأصوات: - راقب هذه النعمة.. أتيتُ بها حديثا.

- قفّال.. صانع مفاتيح..

- أرخصتُ ثمنه مع طلوع الشمس.

(يدخل الباعة من كل طرف وهم ينادون، وكذلك الشارون.. يخرج بعضهم، فيأتي آخرون يحتلون أمكنتهم. يأتي فراشان من باب الديوان، ويضعان كرسيا على المصطبة ثم يعودان.. ويقفان ثابتين إلى

جانب السلم.

يدخل من الجانب الأيمن رئيس المخفر وكبير العسس وحارسان، ثم يخرجون من الجانب الأيسر.

وبعد هذا مباشرة يدخل تيمور وأحمدك، لكنهما يتباطآن، ويبقيان بين الناس.

وفجأة يسكت الجميع.. يبدو القاضي على السلم، وخلفه طيفور وحملة الهراوات.. هدوء.. ينزل القاضي بوقار وسكينة، وعلى شفتيه بسمة.. يعلن طيفور)

طيفور: يتحدث حضرة القاضي اليوم، وقبل أن يباشر بالمحكمة، عن العدالة والأخلاق.

(يتراجع الجميع عن المصطبة عدا مرتدي السواد الذي ظل واقفا قرب المصطبة.. يقع بصر القاضي عليه، يذهل لحظة ويتوقف..)

القاضي: لم أرك قبلا.. من أنت؟

مرجان: أنا.. أنا أيها القاضي «مرجان» ابنة زيتون التاجر.

(يخرج تيمور مسرعا من الجانب الأيسر، يحاول طيفور أن يتقدم فيمنعه القاضي)

القاضي: وكيف لنا أن نعرف صدق كلامه؟ القاضي لا يصغي إلى من يتستر بألبسة مستعارة ويخفي شخصيته.

طيفور: فإن كان لك حاجة فارفع القناع عن وجهك!

القاضي: نعم.. إن كنت أنت هي فأزيحي النقاب عن وجهك.

(تريُّث.. تكشف مرجان عن وجهها.. يتغير

لون القاضي)

مرجان : هأنذا أزحتُ قناعي.. فأزح أنت قناعك.

القاضي : (غير مصدق) ماذا قلتِ؟

مرجان : سمع الجميع ما قلتُ.

طيفور : لعلها ذات شكوى يا سيدي.. (لمرجان) أيتها المرأة لا وقت لدينا اليوم.

القاضي : حتى وإن كان لك دعوى.. فالمحكمة هناك.

مرجان : كلا يا قاضي.. المحكمة الحقيقية هنا.. وهذه.. فرصتي الوحيدة.

القاضي : لقد أوقعت نفسك في الخطر.

مرجان : بالعكس يا قاضي.. أنت الواقع في الخطر.

(همهمة.. يدخل من الجانب الأيسر تيمور وخلفه مباشرة رئيس المخفر وكبير العسس وحارسان.. وهم مسرعون)

مرجان : أريد منك الآن أن تعلن لماذا يتعقبني أتباعك؟ وأن تعلن لماذا أنا مضطرة إلى ارتداء غير ثيابي؟

القاضي : خير أن تُستَر بعضُ الأخبار يا آنسة.

مرجان : أجل.. هذا أفضل لك أيها القاضي! ولكن لي أخا مكبل بقيودك، في حين أن أنداده يحلمون بالشعر والربيع. أما هو فلم يبق في مخيلته سوى فكرة الموت.

القاضي : وماذا تريدين مني أن أفعل؟

مرجان : أن تصدر أمرا بإطلاق سراحه.

القاضي : أتعتقدين أنه وقع في شبهة؟

مرجان : شبهة؟ كلا يا قاضي.. إن ما جرى له كان عمدا.

القاضي : لا يمكنني أن أنظر في القضايا السابقة هنا.. تعالي إليّ بعد حين إلى الديوان.. فإن قدرت أن تقنعي العدالة أطلق سراحه.

كبير العسس : كيف تطلق سراحه؟

القاضي : نعم يا حضرة كبير العسس.. فلعله يكون بريئا حقا.

رئيس المخفر: ما معنى هذا؟ إن براءته إن ثبتت لم يكن لقضائك أساس من العدل.

القاضي : ليس الأمر كذلك.. فقد يُخدع العدل.. ثم إننا يا رئيس المخفر قد نحصل على عفو الأمير القائد أحيانا.

مرجان : أنا لم أطلب العفو عنه أيها القاضي.. بل طلبت إطلاق سراحه لأن عدلك ظلمه في قضيته.

رئيس المخفر: أسمعت أيها القاضي؟ إنها تتهمك.

القاضي : إن هذا محال.. إذا فسّرنا القانون لصالح أخيك كان بريئا، وهذا ما لا يمكن مطلقا!

مرجان : أسمعتم؟ إنه يفسر القانون بأي شكل يريد، عدا صالح المظلومين.

(للقاضي) أهذه هي عدالتك؟

القاضي : قولي.. ثم قولي.. جئتِ إلى هنا لتعلق روحي بجمالك.. جئتِ لتحُولي بيني وبين تحقيق العدل بنظراتك النافذة.. وإني أحمد الله أن الجميع

يعلمون أن القاضي أبا القاسم غلجة بريء من هذه الحركات.. ارفعي عني نظراتك الواعدة، فقد نام فيها الشيطان.

مرجان: أنت ارفع عني نظراتك الواعدة، فقد استيقظ فيها الشيطان

(صخب الجمهور)

القاضي: لقد أدركت الآن أنهم استأجروك لتثيري الناس عليّ.. وإنها لحيلة دنيئة افتعلها بعض أعداء الله ضد القاضي السابق.. ذلك القاضي الذي مات في وحدته.. أما اليوم فالجميع يعلمون أنه كان رجلا شريفا.

مرجان: كان ذلك القاضي شريفا لأنه لم يطأطئ رأسه أمامك ولا أمام أصحابك!

رئيس المخفر: اسكتي!

مرجان: وأنتما يا رئيس المخفر ويا كبير العسس.. ألا تخافان من أنفسكما مطلقا؟ ألا تتساءلان إلى متى تستطيعان استخدام الكذب؟

كبير العسس: انتبهي!

البقال: أتعرفين من تهينين؟

محرر العرائض: أشفقي على نفسك.

العجوز: يا عديمي الحمية.. لم لا تَدَعوها تتحدث عما تريد؟

رئيس المخفر: أيها الحارس.. يجب الحفاظ على حرمة القاضي!

(يتقدم الحراس)

العجوز: اتركوها..

البقال: (مدافعا) لا تلمسوها.. صحيح أنها صرحت بأشياء، إلا أنها امرأة على أية حال... (لمرجان) أرأيتِ ما فعلتِ؟

الفاكهاني: دعوها تتكلم.

القاضي: أيها الناس!.. لماذا لا تدركون؟ لقد جاءت لتهز أركان العدل.. وهي غافلة أنني أجلس على هذا المسند.. وإنه لجبل لا تهزه هبة ريح.. ما الذي تسعين إليه؟.. إنقاذ مذنب.. فحينما لم تُجدِ نظراتك البارقة في ميدان العدل بدأتِ بالادعاء، وبعد ذلك ستذرفين الدمع المنهمر استرحاما لإثارة عطفي. وعن هذا الطريق تبعثين الشك بين البسطاء في عدالة القاضي، وأنه غير شريف. فماذا تنتظرين؟ باشري!

مرجان: لقد ذرفت دموعي مرة واحدة أيها القاضي.. وأمامي الآن طريق آخر أيضا هو أني أفضحك.

القاضي: ماذا قلتِ؟

مرجان: إن عدالتك محكومة أيها القاضي.. أنتم جميعا تتخبّطون في الريح.. سأفضحكم جميعا.

القاضي: يبدو أنك لا تريدين أن يظل فمي صامتا.. حسنا.. فاسمعوا إن هذه المرأة فاجرة، تبيع جسدها لكل رجل.

(همهمة)

مرجان: أيها النذل.. (تغطي وجهها بيديها) أيها النذل!

القاضي: لقد أردت بنفسك أن أصرّح لماذا كان أتباعي يتعقبونك... (للناس) كان أتباعي يبحثون عنها حتى لا تفسدكم أنتم الشعب النجيب، كي يقبضوا عليها.

(يتراجع من كان يدافع عن مرجان)

البقال: كيف دافعنا عن هذه؟.. إنها امرأة سيئة!

سليم: أنا لا أصدق.

الفاكهاني: وأنا كذلك.

القاضي: الحق معكم أيها الرجال البسطاء، ولكن لدي الآن في هذا المجلس بالذات شاهدان شاهدا بأعينهما فسادها.. يا جناب رئيس المخفر، أين هما الشاهدان اللذان ذكرتَهما؟

رئيس المخفر: أو تريد معاقبتها حقا؟

القاضي: هذا ما لابد منه.. لقد وجهت التهمة للجميع.. أين شاهداك؟

رئيس المخفر: تيمور وأحمدك الغزّال موجودان.

تيمور: ذكر أسماءنا.

أحمدك: هيا تقدم.

حيدر: (يسحب سليما بهدوء إلى الجانب) انتهى الأمر.

أحمدك: أفسحوا الطريق.. تراجعوا إلى الأطراف.

القاضي: نعم.. تقدم.

حيدر: (لسليم) تعال.

(يزحف نحو الحجرة بهدوء)

القاضي : أتشهدان أنكما رأيتما هذه المرأة وهي في حال فجورها؟

(تريُّث)

تيمور : نحن لا نريد إراقة دم امرأة.

القاضي : أجيبا عن السؤال وحسب.. أرأيتماها أم لم ترياها؟

رئيس المخفر : هيا يا تيمور.. لماذا تتوانى؟ كرّر ما قلته لي.

تيمور : نعم.. رأيت.

(همهمة)

رئيس المخفر : (لأحمدك) لِمَ أنت ساكت؟

أحمدك : وأنا رأيت.

(همهمة)

القاضي : عقوبة البغيّ معلومة.. يجب رجمها.

(يتقدم الحارس بالحبل)

طيفور : هذه عقوبة يجب أن يشترك بها الجميع يا سيدي.

القاضي : هذا صحيح.. خذوها إلى خندق محلة الكازران.. وانتبهوا، يجب أن يشترك في هذا العمل الخيِّر جميع الناس.

(يخرج بعض الأشخاص)

كبير العسس : أغلقوا الدكاكين.

الحارس : (ضاحكا) إنها تمتنع عن تقديم يديها.

القاضي : امنحها فرصة.. فهي تبكي شبابها.

مرجان : انظر أيها القاضي.. إنني لا أبكي.

رئيس المخفر : كفى! إنني ذاهب يا حضرة كبير العسس.. ولا شك

أنك ستراقب حسن سير العدالة.

كبير العسس : سمعا وطاعة يا سيدي.. ولكن جرت العادة أن القاضي هو الذي يرمي الحجر الأول.

القاضي : لقد وهبني الله قلبا رحيما.. فلا طاقة لي على المشاهدة.. (لمرافقيه) فلنذهب.

الحارس الأول : (لمرجان) هيا.. تحركي.

(مرجان لا تتحرك.. يخرج القاضي ومن معه من الأمام، ورئيس المخفر من اليسار.. الناس في ضيق)

كبير العسس : (للناس) لماذا أنتم واقفون؟ الطريق من هناك.

الحارس الأول : (لمرجان) ألا تأتين؟ (فجأة يشد الحبل) هيا..

(تمشي مرجان.. وخلفها عدد من الناس)

الحارس الثاني : (للآخرين) على طرف الخندق حجارة كثيرة.. تكفيكم جميعا.

الحارس الأول : لماذا أنتم واقفون؟.. هذا الحكم لتعتبروا به.

بائع الملابس : (يتحرك) عمل مشؤوم.

البقال : (يمشي) نعم.. ولكن يجب قطع الأعشاب الضارة.

القفال : (يمشي) أنا أذهب لأتفرج وحسب.

الحارس الثاني : (يحث بعضهم) هيا سيروا.. سيروا.

محرر العرائض : أنا كاتب.. مالي وهذه الأعمال؟

الحارس : أنت تتكلم كثيرا.. هيا (لسليم) وأنت ماذا تفعل؟

سليم : أغلقُ باب الحجرة.

الحارس : عجل.. (إلى الآخرين) هيا.. هيا.. أأنتم تزفون

عروسا؟

(تخرج الفتاة، يتبعها الناس الصاخبون من الزاوية اليمنى من الساحة.. يخرج حيدر من الحجرة.. وبسرعة يعطي سليما حربته، ويضع هو حربته تحت ثيابه)

حيدر: (لسليم) أسمعت؟ محلة الكازران.. كل منا يسير في جهة.

سليم: ما هي الخطة؟ ماذا علينا أن نفعل؟

حيدر: لا أعلم حتى الآن.. إنني ذاهل.

(يغلق سليم باب الحجرة)

حيدر: هناك قرب المخفر.. تعال واصرخ.. حريق.. وهي فرصة مناسبة، حيث يهرع الجميع لإخماد الحريق.

سليم: وأي نار؟

حيدر: حسنا أشعل نارا.. ارم شعلة على تبن الاصطبل.. هيا أرني ماذا تفعل؟

(يخرج كل واحد منهما مسرعا من أبعد زاوية.. يدخل من الجانب الأيمن زيتون التاجر.. ومعه خادم يحمل صرة سفر)

زيتون: (مسرورا) حسنا، ها قد وصلنا.. لم يبق شيء على منزلي، أعطني إياها.. أنا أحملها.

الخادم: أين منزلك؟ أتريد أن أخبرهم؟

زيتون: كلا.. الأفضل أن أدخل من غير علم.. تعال.. هذا دينار بنغالي لك.

الخادم: أرجو من الله أن تكون راضيا عني.. أتريد خدمة أخرى؟

زيتون: اسمع..

(يدخل طيفور ومعه فراش من باب الديوان)

طيفور: (للفراش) ابحث عنه مهما كلف.. عنوان المنادي معلوم.

زيتون: (للخادم) وهذا الوصل.

طيفور: (للفراش) قل له إن القاضي يريدك لأمر مهم.

الخادم: (لزيتون) نعم حتما.. سآتي بالصناديق غدا إلى مكتبك.

زيتون: وإن لم أكن موجودا فابني موجود.. سلمه البضائع.. الله معك.

(يذهب الفراش.. يخرج الخادم من اليمين.. يسير زيتون)

طيفور: يا حضرة السيد.. ألست أنت زيتون التاجر؟

زيتون: نعم أيها الشاب.. هكذا يقولون.

طيفور: إن شاء الله كانت سفرة سعيدة.

زيتون: شكرا.. غير أنها طالت قليلا.. مَن السيد؟

طيفور: أنا؟ أنا مساعد حضرة القاضي.. إنه مشتاق كثيرا لرؤيتك.. (يضحك) لديه أخبار يجب أن يطلعك عليها.

زيتون: وهذا مبعث لافتخاري.. نعم.. قل له سأزوره غدا بكمال أدبي واحترامي، فالآن أنا متعب، ومشتاق

للوصول إلى المنزل.

طيفور: (مستهزئا) صرتك جميلة.

زيتون: إنها من صنع البنغال.. وطيها هدية صغيرة لابني وابنتي.

طيفور: والقاضي يريدك بشأن ابنك وابنتك.

زيتون: (يتوقف لحظة).. ماذا جرى؟ أخبار سيئة؟

طيفور: لا تتضايق.. فلنذهب إلى القاضي.. وهو يحدثك.

زيتون: أنت تتكلم بطريقة وكأن.. كأن حادثة سوء وقعت.. أليس كذلك؟ أهكذا؟

طيفور: إن كنت لا تحتمل فعجل.

(يريه الطريق.. يتمهل زيتون.. لكنه يندفع إلى الأمام دفعة واحدة.. يدخل خدابخش)

خدا بخش: سلاما يا طيفور.

طيفور: أهذا أنت؟.. أخبر المنادي أن صحة القاضي ليست على ما يرام.. ليعلن أن المحكمة ستعطل عدة أيام.

خدا بخش: تمهل.. لدي شغل آخر.

طيفور: تمهل أنت.. سأعود الآن.

(يخرج طيفور مع زيتون من الباب الأمامي.. يبقى خدابخش عدة لحظات وحيدا.. لا يعرف ماذا يفعل.. يمشي.. يرتعش.. يقع بصره على باب الحجرة الموصد أمامه.. وبلا شعور يتقدم نحو الحجرة.. ويقرع الباب عدة قرعات)

خدا بخش: (بهدوء) أتسمع؟.. هذا أنا، خدابخش.. أجبني..

حسنا.. إن كنت لا تريد الإجابة فأصغ إلي.. هناك إنسان في خطر.. عليك أن تفعل شيئا.. أنا لا أعرف غير هذا.. بحثت عنه في كل مكان.. أخشى أن يقبض عليه.. أتسمع؟

(يعود طيفور)

طيفور: بماذا تحدّث نفسك؟

خدا بخش: (قلقا) كنت أتمرن على كيفية إخبار القاضي هذا الخبر.

طيفور: أنت جئت لتخبر عن هرب الفتاة.. أليس كذلك؟

خدا بخش: هذا صحيح.. وإنني شديد القلق.. ترى أين هي الآن؟

طيفور: من شدة قلقك لم تر الساحة على سعتها.

خدا بخش: (ينظر حوله) الساحة؟

طيفور: أرأيت هذا المكان خاليا إلى هذا الحد قبل الآن؟

خدا بخش: أصابني دوار.. هذا صحيح.. المكان هادئ جدا.. تركوا بضائعهم وذهبوا.. (قلقا) أحدث شيء؟

طيفور: (مستهزئا) لعلهم ذهبوا في نزهة.

خدا بخش: (مغتاظا) لا تمزح معي!

طيفور: وأنت أيضا تستطيع الذهاب.. أنت في إجازة اليوم وغدا.. وهذا راتبك اليوم.. فاذهب وتجوَّل.

خدا بخش: (حائرا) أذهب.. وأتجول؟

طيفور: في أطراف محلة الكازران مناظر خلابة.

خدا بخش: ذهبت إلى هناك أكثر من عشر مرات.. لم يكن

جميلا كثيرا (منزعجا) بل لم يكن جميلا أصلا.

طيفور: أما اليوم ففيه عالم آخر.. لابد من أن تطل عليه (بجفاء) الله معك.

(تريُّث.. يسير خدابخش.. لكنه يتوقف)

خدا بخش: ماذا كنت تقصد بكلامك يا طيفور؟ قلت إن فيه عالما آخر اليوم.

(يدير طيفور ظهره له ومن غير أن يجيبه يبتعد ويخرج.. يفكر خدابخش.. وفجأة يغيّر اتجاه سيره ويتجه نحو الجانب الأيمن.. لكنه يتوقف حين يرى شيئا ويصرخ)

خدا بخش: يا له من منظر يا طيفور! صحيح.. كأن حريقا وقع في بعض الدور هناك.. (مهتاجا) حريق.

(يخرج زيتون من باب الديوان مصابا بدوار.. منكوبا. يتبعه القاضي)

القاضي: لا.. لا.. فكر في حالك.. لا تقلق إلى هذا الحد.. (يأخذ بيده) هناك آمال عديدة في الحياة.. كل الأمور تنجز بالصبر.

زيتون: (مبهوتا) ابنتي؟

القاضي: سأعمل على ما وعدتك به.. سيطلق سراح ابنك في منتصف الليل سالما معافى، حتى من غير أن يؤدي ما عليه من قروض وغرامات..

وهذا من أجل خاطرك، ومن أجل ما حلَّ بكم من مصيبة.

زيتون : أشكر لطفك.. (ينحني تعظيما) أشكرك.. أشكرك.

القاضي : ستعمل على تنفيذ قولك حتما.

زيتون : (منهكًا) قول؟

القاضي : لم تعد هذه المدينة مناسبة له.. إنه يتفوه بكلمات (متأثرا) ليست في موضعها مطلقا.. (بمحبة) غداً تتجه قافلة إلى هراة.

زيتون : أو تظن أني أستطيع البقاء هنا أكثر؟

القاضي : تحمَّل يا أخي.. إن دموعك تجرح فؤادي.. وأنا أيضا كنت أحب ابنتك كما لو أنني أبوها.. لكن المستندات كانت قوية، ولم يكن من وسيلة، القانون لا يفرق بين الغني والفقير.

زيتون : نعم.. نعم.. قلتَ لي إلى أين أذهب؟

القاضي : محلة الكازران.

زيتون : هذا صحيح.. (يتحرك) كانت محلة الكازران تلك الأيام من هنا.. (يتريث) والآن.. هي من هنا.. (مترددا) أو من هنا.. نعم تذكرت.. (يسير) من هنا.

القاضي : بالعكس.. من هناك.

زيتون : (ينحني إجلالا) نعم نعم.. الحق معك.. الحق معك. (يخرج كالمجانين.. سكوت.. يتقدم خدابخش الذي كان واقفا في زاوية يمنى.. قلقا)

خدا بخش : من كان هذا الرجل أيها القاضي؟

القاضي : أهذا أنت؟.. (يتريث.. يسير) المحكمة معطلة.

خدا بخش : (يقف في طريقه) ألم يكن الرجل والد مرجان؟ نعم؟ ماذا يجري في محلة الكازران؟

القاضي : كان هناك خندق.. ولعله امتلأ الآن.

(القاضي يبتعد ويخرج. خدابخش متسمِّر.. وفجأة يهتز جسده كله ويرتعش.. يسير كالمجنون.. يركض.. يسرع.. يصطدم بمحرر العرائض الجالس في أقصى اليمين، فيسقط محرر العرائض)

محرر العرائض : لا تذهب من هناك يا فتى.. من هناك لا تذهب.

خدا بخش : أكنت هناك أيضا؟

محرر العرائض : لا أراك الله يوم السوء.. خذ بيدي.

خدا بخش : تكلم!

محرر العرائض : حالي ليست على ما يرام.. حتى اليوم لم أكن قد رأيت الرجم.

خدا بخش : رجم؟

محرر العرائض : تلك الفتاة لم تبك قط.

(يتحرك خدابخش وهو يصرخ)

محرر العرائض : إلى أين أنت ذاهب؟ لا فائدة.. لا يمكنك أن ترى جسدها.

(يتريث خدابخش)

محرر العرائض : كانت في جوف الخندق، وعيناها مفتوحتان.. كان الناس في ريب من رجمها.. يرمون الحجارة بحيث لا تبلغها.. وكان الحرس يصيحون بهم ليحسنوا الإصابة.. فاندفع الجميع معا.. وفي هذه اللحظة

صرخ أحدهم أن المخفر احترق! وجهت نظري.. كان اللهيب يتصاعد في الفضاء.. فما كان من الجميع إلا أن رموا الأحجار وأسرعوا.. فلم أدر بعد ذلك ما حدث.. كنت أرى لونا أحمر في كل ما حولي، حتى استولى الدوار عليّ.

(يسير خدابخش بهدوء)

محرر العرائض : توقف.. توقف.. فأنا قادم معك (يسرع فوق بسطته) توقف لنذهب معا.

خدا بخش : (يتوقف) أتخاف الوحدة؟

محرر العرائض : وكيف علمتَ؟

خدا بخش : أنتم قتلتم فتاة طاهرة!

(يخرج مسرعا.. يذهل محرر العرائض الذي حمل خرجه.. يدخل البقال مستعجلا)

البقال : فلنجمع بساطنا.. هذا ما اشتغلناه اليوم.

(يدخل بائع الملابس من جهة أخرى، يسير إلى الطرف الأيمن، ويتجه نحو دكانه فورا ليغلقه)

بائع الملابس : قيل إنها غدت بلا جسد.

البقال : هُدر دمها!.. كأنهم دفنوها بالخفاء.

بائع الملابس : ماذا يدفنون؟ حينما ذهبت كانت حية.

البقال : كف عن ذلك.

بائع الملابس : لقد سمعت أنينها بنفسي.

البقال : أستغفر الله.. لا تقل هذا أيها الأب.. ستأتينا في الأحلام عند منتصف الليل.

(يدخل الإسكافي من جهة أخرى)

الإسكافي: وهل يمكن النوم بعد الآن؟ خذ نومنا وأرحنا.. (للباقين) لقد خطفوها.. لا أشك في ذلك.. خطفوها!

بائع الملابس: ما هذه الحيلة؟

البقال: ما أفضل ذلك! لا يجوز دفنها في مقابرنا.. كانت فتاة فاجرة!

الإسكافي: ولماذا تغيّر لونك هكذا؟

(يلتفت الجميع نحو محرر العرائض)

بائع الملابس: أيا عم.. بماذا تفكر؟

بائع الملابس: وماذا يكون إن كانت بريئة؟

البقال: ومن تكون البريئة؟

بائع الملابس: يقصد الفتاة.

البقال: (يضحك) ما هذا الكلام؟ ألم تر هيئتها؟ كانت هيئتها تعلن عن فجورها.

محرر العرائض: أأنت متأكد؟

البقال: ها.. (مترددا) لا أعلم.. لابد أنها فعلت شيئا.. لو أنها كانت بريئة لما عطلتُ دكاني.

الإسكافي: هذا السيد يقول الصدق.. إذا كان المرء بريئا لا يطلبونه.. وإلاّ فلماذا لم يطلبونا؟

البقال: ها.. لماذا لم يطلبونا؟

بائع الملابس: دعونا نسمع ما يقول.

محرر العرائض: عندي شك.

البقال: إنه شَكّاك.. (لمحرر العرائض) دع الشك.. كن كما نحن.. انظر.. إني مرتاح البال.. ثابت.. لأني على يقين أنها فعلت شيئا.

محرر العرائض: عليك أن تكون على يقين، لأنك كنت غارقا في هذا العمل.

البقال: لقد رميتها لأكسب ثوابا.. وتدعونني الآن قاتلا؟ كلا.. لا أقبل ذلك.

(صوت الطبل.. وهدوء)

الإسكافي: طبل المغرب.. يجب أن نذهب.

(سكوت.. لا أحد يتحرك)

محرر العرائض: فلماذا أنتم واقفون؟ لماذا لا تذهبون إلى دوركم؟

(سكوت)

بائع الملابس: أجل.. فلنذهب.

الإسكافي: (بصوت مختنق) ليلة سعيدة.. (لمحرر العرائض) أوقعتنا في تفكير سيئ.

(يخرج.. تريث)

البقال: أنا لا أصدق.. كلا.. لابد أنها اقترفت ذنبا.

(يخرج.. تريث)

بائع الملابس: لماذا تشعر بالحزن؟ لم تكن وحدك.. كنا موجودين جميعا.

(يخرج.. يدخل النحاس بزيٍّ متنكِّر)

النحاس: سلاما يا عم.. لقد دق طبل المغرب منذ حين.

محرر العرائض: أخشى الذهاب إلى المنزل.. مازالت تتمثل أمامي.

(يخرج مضطربا.. يتلفت النحاس نحو الأطراف)

النحاس : (بهدوء) هلموا.. لا يوجد أحد.

(يعدو فيفتح باب حجرته.. يدخل سليم وحيدر من أقصى يسار المسرح، يحملان صندوقا من طرفيه، وبعجلة يدخلان ويتجهان به نحو طرف الحجرة.. يضعانه في الحجرة.. يصبح سليم داخل الحجرة)

النحاس : أنا ذاهب الآن إلى تلك العجوز.. ادعوا لي أن ألقاها.

حيدر : أأنت مطمئن إليها؟

النحاس : هي التي ربتني.

حيدر : حسنا.. أحضرها حتما.. عجل بها، ومهما عجلت فأنت متأخر.. أسمعتَ؟ عندنا مومياء.. لا تنس المرهم والضماد.

النحاس : إنها حاذقة تعرف ماذا تفعل.

حيدر : أحسن.. (يضع يده على كتف النحاس) لو أنك لم تكن موجودا لما كنا نستطيع أن نقوم بأي عمل.

النحاس : سأعود حالا.

(يخرج مسرعا)

حيدر : (من داخل الغرفة) هل مددتَها؟ اعطها مقويا.

صوت سليم : كان عندنا عصير، مع النبيذ.

حيدر: طيب.. طيب (بهدوء أكثر) طيب.

(يتكئ على جدار الحجرة، ويبقى مذهولا في الساحة. يبدو سليم عند عتبة الحجرة)

سليم: أكان ضروريا أن نأتي بها إلى هنا الآن؟

حيدر: (باضطراب) نعم؟

سليم: المكان هنا غير آمن.. أنا خائف. كان علينا أن ننقلها إلى مكان آخر.

حيدر: أين؟

سليم: لا عِلم لي بمواضع أخرى موجودة.

حيدر: أتريدها أن تبقى على قيد الحياة أم لا؟ إلى متى ننقل الصندوق من هنا إلى هناك؟ فكِّر.. إن وصل أحدهم...

سليم: اسكت.. (تريث) فتحت عينيها.

حيدر: انتبه.. يجب ألا تئن.

سليم: أسمعت يا فتاة؟ لا يجوز أن تئني.

حيدر: (مطولا) اصمتي..!

(يسير حيدر.. يفكر وهو يسير، حتى يرقى المصطبة ويحدق بالديوان.. يخرج سليم من باب الحجرة)

سليم: عادت إلى النوم.

(هدوء.. يجلسان على طرف الحجرة)

سليم: ماذ تظن؟

(هدوء)

سليم: متى يحين ذلك اليوم؟

(سكوت)

سليم: (يتفجر) تدعوني إلى الصبر.. الصبر.. ليتني تلك

الليلة لم أصغ إلى كلامك منذ البدء.. ليتنا أفنينا واحدا من هؤلاء الكفرة.. لو أنّا فعلنا هذا ربما ما حصل الذي حصل الآن.

حيدر: هذا كلام من هو في مثل سنّك.. قل ما تشاء قبل أن تفهم وتصل إلى سني. أما في سني فإن عقل المرء ينفعه أكثر في عمله. لم يكن لذلك العمل أي فائدة. لو أنك قتلت واحدا منهم ومات ميتة الكلاب لعدوه شهيدا.. وهذا لايجدي ولا ينفع.

سليم: لكنه كان خيرا من لا شيء.

حيدر: نحن نعمل عملا، نحن نتعلم كيف نعمل.. أتذكر القاضي العظيم..؟ في بادئ الأمر لوَّثوه بكذبهم من غير حق ولا تقدير.. أما الآن فإنه لا وجود للكذب.. وهذا ما تعلمناه بأنفسنا. كل ما علينا أن نزيح الستار. وهذا الطريق.. هم أنفسهم علمونا إياه ودلّونا عليه.

سليم: حسنا.. هذا هو الطريق.. فماذا علينا أن نفعل الآن؟

حيدر: (صابرا) الآن علينا أن نتحلى بالصبر.

سليم: الصبر؟ ويموت واحد هنا الآن أمام أعيننا.

حيدر: (يثب) أسكت!

(سكوت)

سليم: غير مفيد.. أنت تنتظرهم، وهم ليسوا أهلا لذلك.. في كل مرة يقولون: وما شأننا؟ هم دائما ينسلون

في الأزمات.

حيدر: لكنهم هذه المرة لن ينسحبوا.. فقد انغمست أياديهم جميعا هذه المرة.

سليم: (غير فاهم) ماذا.. تقصد؟

حيدر: أتظن أن أحدا يأتيه النوم هذه الليلة؟

(هدوء.. كلاهما ينظر إلى الساحة)

سليم: أي خوف؟ أولئك يخافون؟

حيدر: نعم.. وآية ذلك أنهم مازالوا أحياء.. فماذا إن كانوا تعودوا.. (تريث) الخوف يدفع الإنسان إلى التفكير.. نعم.. وهذا كله غنيمة في حد ذاته.. (تريث) لقد ازداد هدوء الساحة في الأيام الأخيرة.

سليم: نعم.

حيدر: ادع لها أن تظل حية.

سليم: نعم؟

حيدر: خيالات تحوم في رأسي.. لا أدري ماذا سيحدث.. ادع لها بطول العمر.

(يدخل النحاس ومعه العجوز)

النحاس: تعالي يا أم.. إنها هناك.

العجوز: أواه.. لماذا تدفعني؟

النحاس: قلتُ إن تلك الفتاة أخت أصدقاء لي.

سليم: سلام يا أم.. اعلمي أنها ديست تحت الأرجل.

العجوز: فلأرَ ما يمكنني فعله.. وليساعدني أحدكما.

(يدخل سليم الحجرة خلف العجوز)

صوت العجوز: سراج!

النحاس: انتبهي يا أم، لا ترفعي صوتك.. (يغلق الباب)
انتبهي!
(لحيدر) إنها عجوز طيبة.. وقد كانت أما لكثيرين من غير أن يكون لها أطفال.

حيدر: وهل ستبقى على قيد الحياة؟

النحاس: مَن؟.. تلك؟

(يدخل كبير العسس ومعه حارس من الجانب الأيمن)

كبير العسس: هاي.. ماذا تفعلان هنا؟

النحاس: (ينحني) منزلنا هنا يا سيدي.

كبير العسس: هنا..؟ فلماذا لا تذهبان للنوم؟

حيدر: (ينحني) منتظران يا سيدي.. فقد تصل إلينا صدقة من الديوان ليلا.

كبير العسس: صدقة؟

حيدر: يعطوننا من صندوق الفقراء.. فإن جاؤوا ولم نكن موجودين تضايقوا.

(يدخل زيتون التاجر من أقصى اليسار قلقا.. ثم يخرج من اليمين)

كبير العسس: (للحارس) ألم يكن هذا زيتون التاجر؟

الحارس: نعم يا سيدي.. فقد عاد اليوم.

كبير العسس: إنه لم يعرفنا أصلا.. (للآخرين) قلتما إنهم يعطون صدقات؟

(مؤكدا) أأنتما كما أنتما حقيقة؟

حيدر: (مندهشا) ماذا تقصد يا سيدي؟

كبير العسس: (للحارس) بلغني أن الصعاليك لا يهتمون بالمال.

الحارس: كذلك سمعت أيضا.

كبير العسس: سمعتُ.. (يخرج دينارا) سمعت أنهم يموتون ولا يقبلون الصدقة.

الحارس: (منتبها) صحيح يا سيدي.

(يتبادل حيدر والنحاس النظرات.. يقبض الحارس على حربته)

كبير العسس: حسنا.. لقد عزمت على تحريم هذه النقود (للحارس) أأنت جاهز؟

الحارس: أجل يا سيدي.

كبير العسس: (يمسك الحربة بيده) سنعلم الآن من تكونان.. مكانكما.. هيا (يرمي النقود بينهما.. يهجم حيدر والنحاس على النقود من غير تردد.. ويسعى كل منهما لينتزع النقود من الآخر، ويتضاربان بكل عنف)

كبير العسس: (ضاحكا) لقد التبس الأمر علي.. ومع ذلك عليك أن تراقبهما.. هؤلاء الشحاذون كلهم مشكوك في أمرهم.. فلنذهب.

(يخرج كبير العسس والحارس وهما يضحكان.. يترك حيدر جيب قميص النحاس)

حيدر: لا بقاء لنا هنا.. لسنا في مأمن من هنا.

(يخرج سليم من الغرفة)

سليم: (يصرخ بقوة) هل ذهب؟

حيدر: علينا أن نبحث عن مكان.

(تخرج العجوز من الحجرة)

العجوز: حظها كبير إذ لا كسر فيها.. إنها تفتقر إلى الدم فقط، وفي جسمها كدمات، وضعت عليها مرهما.. مرهما للكدمات.. وعليكم أن تبدلوا المرهم.. كل يوم.

النحاس: أخفضي صوتك أكثر يا أم.. (يسحبها إلى الطرف) ما رأيك في أن نحملها إلى بيتك؟

العجوز: إلى بيتي؟

النحاس: لا أحد يبحث عنها.. يظنون أنها ماتت.

العجوز: لا.. لا، عاقبة هذا الأمر غير معلومة.

النحاس: اسمعي يا أم.. لقد شكّوا في هذا الموضع.. رأيتِ ذلك بنفسك.

العجوز: ولماذا بيتي؟

النحاس: لأنها لا مكان آخر لها.. كيف أقول لكِ؟ إنها لا تعرف أحدا.

العجوز: (متأثرة) أتقول الحقيقة؟

النحاس: حتى إنها لا أم لها.. أنت وحيدة، أليس كذلك؟ تصوري أنها ابنتك.

العجوز: أتريد أن تخدعني؟

النحاس: أنا؟

العجوز: أجل.. تحاول خداعي!.. (تريث) ليكن.. سأعطيها غرفة.

حيدر: نرجو عطفك يا أم.

العجوز: (تمسح عينها) لا تتضايقوا إلى هذا الحد.. فإن صعوبة وضعها كان في هذه الليلة فقط.. أعدكم أنها ستفتح عينيها غدا.. (للنحاس) فعجّلوا إذًا.

(دخل سليم والنحاس الحجرة)

العجوز: كلما عجلتم كان أفضل.. ما اسمها؟

حيدر: من الأفضل أن نغير اسمها.. اختاري لها اسما يا أم.

العجوز: كان اسم ابنتي طاووس.. (تكرر) طاووس.. (قلقة) والآن كيف ننقلها؟ إنها مصابة بالحمى.. تتعرق.. يجب أن يكون مكانها مريحا.. لنر..

(يخرج النحاس وسليم بالصندوق)

العجوز: ماذا فعلتم بها؟ (مترددة) أهي فيه؟

حيدر: (يعود مسرعا) إنهم قادمون.. إنهم قادمون.. (للنحاس وسليم) اتركاها!

(يدخل سليم والنحاس الحجرة بسرعة ويغلقان الباب)

العجوز: (قلقة) ماذا سيحدث الآن؟

حيدر: أمسكي بطرف الصندوق يا أم.

(يدخل الحارس السابق ومعه حارس آخر من الجانب الأيسر)

الحارس : آهاي.. أما زلت هنا حتى الآن؟

حيدر: أنا أساعد هذه العجوز.

الحارس : ما هذا؟

العجوز: إنها لي يا سيد.. وصلتني هذه الأمانة وأنا أنقلها.

الحارس الثاني : صحيح.. وصلت قافلة مع الغروب.

الحارس الأول : فتش حجرة هذا الرجل.. فهو مشبوه.

(يذهب الحارس الثاني نحو الحجرة.. يتقدم الحارس الأول ويركل الصندوق برجله بحذر)

الحارس الأول : لابد أنه ثقيل.

الحارس الثاني : لا شيء يُرى.. إلا شحاذ نائم...

العجوز: (لحيدر) حسنا أيها الفتى.. إن زال تعبك فارفع الصندوق معي لنذهب.

الحارس الأول : لماذا تتعبين نفسك يا أم؟ أين منزلك؟

العجوز: غير بعيد.. في جهة محلة المطربين.

الحارس الأول : (لحيدر) ارفع يدك!.. (للحارس الثاني) يا عملاق.. تعال نتعاون لننقله.

العجوز: فاذهب إذًا أيها الشاب.. أطال الله في عمرك.. هذان السيدان يساعداني (للحارسين) من هنا.. رضي الله عنكما.

(تخرج العجوز، يتبعها الحارسان بالصندوق)

حيدر: (إلى داخل الحجرة) عجّلوا.. أنتم تعرفون منزلها.. سأذهب إلى زيتون التاجر.

(يتبع النحاس وسليم الحارسين.. يغلق حيدر باب

الحجرة ويسير.. يدخل خدابخش كالشبح من أقصى اليمين.. وحين يراه حيدر يتوقف.. سكوت)

خدا بخش: من هذان الرجلان..؟ أكانا يقدمان شهادة؟

حيدر: ماذا تريد أن تفعل؟

خدا بخش: كانا تيمور وأحمدك النساج.. أليس كذلك؟ (تريث) لقد جمعت أفكاري.

حيدر: أخشى أنك تقوم بعمل خطير.

خدا بخش: كنت أتمنى أن أمتلك الجميع.. والآن لم يعد لي أحد.. (يمد مفتاحا نحو حيدر).. لا أحد.

حيدر: (يأخذه بعد تردد) ماذا تقصد؟

خدا بخش: لقد جمعت كل أفكاري.

(يخرج كالشبح.. حيدر ينظر إليه وهو يبتعد ومازال صامتا، وإذا بحاملي الهراوات يطردان سلمان من باب الديوان)

طيفور: اذهب إلى خان «نُوبَهار» فأبوك هناك.

(يغلق باب الديوان.. يدنو حيدر من سلمان)

حيدر: قم يا سلمان.. فلي معك أحاديث كثيرة، وعلي أن أقولها لك خلال الطريق.

سلمان: ماذا جرى؟ من أنت؟.. توقف لأرى.

(يخرج خلف حيدر بعجلة.. يدخل المنادي وهو يقرع الطبل)

المنادي: هاي.. هاي.. أيها الناس.. مع أن العدالة لا تعطل فإن المحكمة معطلة ثلاثة أيام.. هاي.. هاي..

واليوم عند الظهيرة سيقدم خدمُ الديوان هدايا للجميع.. لكل رجل دينار ذهب، ولكل امرأة درهم فضة.. وهذا هدية من القاضي، فمن أخذ فقد كسب، ومن تأخر فقد حُرم.

(يدخل بعض البائعين الذين يأتون كل يوم من غير صوت.. ويدخل البقية بهدوء تباعا، ويبسطون بضائعهم.. يخرج المنادي قارع الطبل.. يدخل محرر العرائض بخرجه وكرسيه)

محرر العرائض : السلام عليكم.

(لا يرد السلام أحد.. يضع محرر العرائض كرسيه ويجلس)

محرر العرائض : ما أبردَ هذا اليوم!

(لا أحد يجيبه)

محرر العرائض : السماء ملبدة بالغيوم.

(لا أحد يجيبه.. سكوت.. ينهض محرر العرائض فجأة)

محرر العرائض : أكاد أنفجر.. أريد أن أكلم أحدا.

(يتجه نحو البقال وبائع الملابس)

محرر العرائض : لماذا لا تنظران إليّ؟ ها؟ أنا لم أنم مساء أمس.. كل الخيالات مرّت فوق رأسي.

بائع الملابس : بلا جدوى!

البقال : لقد خسرنا أمسنا.. يكفينا هذا.. دعني.

الفاكهاني : (للعجوز في آخر المسرح) رأى رجل بعض

اللصوص، لكنه لم ير وجوههم، لأنهم كانوا ملثمين.

العجوز: أستغفر الله.

البقال: كانت الفتاة فاسدة.. شريعة الله تقول: «ومَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كشجَرةٍ خَبيثةٍ اجْتُثَّتْ من فوقِ الأرضِ مالَها مِن قَرارٍ» (*).. هذه هي.

الشيخ: (من آخر المسرح) فقدنا حميتنا جميعا.

محرر العرائض: (منكسا رأسه) وهل هناك فرق أصلا؟ (يسير) انشغل بعملك.. فالحسرة لا تفيد في هذه الدنيا.

بائع الملابس: (لصانع الأقفال) كان حكما وكفى.. ولابد لأحدهم أن ينفذه.

الفاكهاني: ولماذا نحن.. ها؟ لماذا نحن؟

بائع الملابس: أكان بإمكاننا رفضه؟ أنستطيع أن نقول: لا؟

الإسكافي: اسكتوا!

(سكوت.. يتوزع الجميع.. يدخل خدابخش من زاوية، ويتجه نحو بائع الملابس)

خدا بخش: أعطني شيئا.

بائع الملابس: حالا.. (يضحك) هذه ملابس مستعملة.

خدا بخش: ليس من هذا اللون.. أعطني شيئا آخر.

بائع الملابس: لكن هذا اللون خاص بملابس الديوان.

خدا بخش: أعطني لونا آخر.

بائع الملابس: (متعجبا) الأمر أمرك.

(يدخل تيمور والنسَّاج.. وبدا أنهما يتعقبان أحدا..

(*) ١ ـ الآية: ٢٦/ إبراهيم: ١٤.

يتجهان نحو خدابخش وقد خلع جبّته ليجرّب جبّة جديدة)

تيمور: قل لنا.. من يريدنا؟

خدا بخش: (يراهما) السلام عليكما.

تيمور: مساء أمس جاء أحدهم إلى مقرنا، وترك رسالة طلب فيها أن نحضر إلى هنا مبكّرَيْن.. أكنت أنت؟

أحمدك: من إشاراته اعتقدنا أنه أنت.

خدا بخش: كلا.

بائع الملابس: (لخدابخش) كيف رأيت الجبة؟

خدا بخش: مريحة أكثر من السابقة.. خذ.

أحمدك: (لتيمور) فعلينا أن ننتظر.. تُرى من كان؟

بائع الملابس: (يشير إلى جبة خدابخش) وماذا أفعل بهذه؟

خدا بخش: احرقها.

تيمور: ألم تأت مساء أمس إلى مقرنا أبدا؟

خدا بخش: ذهبت مساء أمس للتفرج.. مثَّل الممثلون ليلة أمس تمثيلية الملك والوزير.. لو أنك تعلم..

أحمدك: كان مضحكا.. أليس كذلك؟

خدا بخش: لدرجة كبيرة.. كانت جلسة منعشة.. شيء في غاية الجمال.

أحمدك: كيف؟ بأي شكل؟

خدا بخش: القصة كانت تدور حول عدد من الرجال المسنين المحترمين يختصمون فيما بينهم بشأن صبية.. كانوا يستخدمون شتى الحيل.. كان يجب أن تراها.

أحمدك : (لتيمور) كانت جميلة.. أليس كذلك؟

خدا بخش : وفي الختام قالت الصبية: أذهب إلى القاضي وأشكوكم له.. وحين شعروا بالفضيحة اتفقوا على إساءة سمعتها، ورشوا بعض الرجال ليشهدوا ضدها.

بائع الملابس : ماذا يقول؟

الفاكهاني : كأنه يروي قصة يوم أمس.

خدا بخش : كلا.. لم تنته كما انتهت قصة أمس.

البقال : فما حدث إذاً؟

خدا بخش : كان عليكم أن تذهبوا بأنفسكم وتشاهدوها.. كانت عجيبة جدا.

بائع الملابس : فاشرح لنا الآن.

خدا بخش : أتصرّون على معرفتها؟

محرر العرائض : طبعا.. قل لنا.

خدا بخش : حسنا.. فلنفترض أني أنا القاضي في التمثيلية.

بائع الملابس : (لمحرر العرائض) قدم له كرسيك.

خدا بخش : ونأخذ تيمور وأحمدك على أنهما الشاهدان لذلك.

تيمور : ماذا تقصد؟

محرر العرائض : يريد محاكاة التمثيلية.

تيمور : لأني وأحمدك شهدنا بالأمس أيضا.

خدا بخش : هذه لا علاقة لها بالأمس.. إنها محاكاة كما قلت.

بائع الملابس : نعم.. إنها لعبة مسلية.

تيمور : ولماذا نحن؟.. فليتقدم غيرنا.

خدا بخش: لا أريد أن يذهب هذا المال لجيب غيركما (يخرج صرة) هذا المال يناله من يشهد زورا!

أحمدك: ويدفع نقودا أيضا!

خدا بخش: من يتطوع؟ (للبائع) أنت؟

أحمدك: حوِّله إلينا.

خدا بخش: حين أشير تتقدمان وتعرضان شهادتكما الكاذبة.

أحمدك: قبلنا (لتيمور) إنها مجرد لعبة.. ونحن بلا عمل.. (لخدابخش) هي مضحكة.. أليس كذلك؟

خدا بخش: ستكون الخاتمة مضحكة جدا.. (يجلس على الكرسي) أنا الآن قاض!.. (لبائعين) تقدما أنتما مكان حاملي الهراوات.. وهما أخرسان.

البائع: ليس معنا هراوات.

خدا بخش: خذا حربَتَي تيمور وأحمدك من تحت ثيابهما.

تيمور: هاي هاي.

خدا بخش: (للبائعين) عجلا.. أخذتماهما؟ حسنا.. فلنبدأ..(يغير لهجته) سكوت.. هنا محكمة العدل !.. أنتما تشهدان بأنكما رأيتما فجور الفتاة بأعينكما.

تيمور: نعم، نشهد .. وهذا ما قلناه بالأمس.

خدا بخش: (بصداقة) تذكر أنها لعبة، ولا علاقة لها بالأمس.. (يغير لهجته) حسنا .. أشاهدتما معا، أم شاهد كل واحد منكما على حدة؟

أحمدك: وما الفرق في ذلك؟

خدا بخش : لأنكما إن شاهدتما كل على حدة فلا يجوز، فقد يخطئ أحدكما. يجب أن يشهد شاهدان عدلان بأعينهما جريمة واحدة حتى ينقطع الشك تماما.

تيمور: نعم شاهدنا معا.

خدا بخش : والآن يجب أن يشهد كل منكما على حدة.. خذوا أحدهما إلى مكان لا يسمع فيه صوتنا.

تيمور: ما هذه الحيلة الجديدة؟

أحمدك : إنها جزء من اللعبة.. عمل مضحك.. أليس كذلك؟

البائع : فاذهب إذًا.

تيمور: أستغفر الله.. اتركوني.

خدا بخش : ها قد بلغنا مواضع الضحك.. خذوه.. انتبهوا لئلا يهرب.

تيمور: أنا أهرب؟ هَيِّ!

(يخرج مع حاملي الهراوات)

خدا بخش : (لأحمدك) حسنا.. قلت إنكما رأيتماها معا.. منذ متى رأيتماها؟

أحمدك : قبل أسبوع.

خدا بخش : في أي يوم؟

أحمدك : الجمعة.

خدا بخش : أحسنت.. والآن قل لي أين كان محل الفسق؟

أحمدك : والله..

خدا بخش : أين؟

أحمدك : الحقيقة..

خدا بخش : أسبوع واحد ليس شيئا .. لابد أن يبقى في ذهنك.. حسنا، مادمت لاتتذكر المكان فاذكر اسم من كان معها.

أحمدك : ماذا أفعل؟

خدا بخش : لابد من رجل فاسق يكون معها.. حسنا من كان ذلك الرجل؟ إذ لابد من معاقبته.

(همهمة)

بائع الملابس : هم لم يسألوا شيئا من هذه الأسئلة أمس.

خدا بخش : ما لنا وما جرى بالأمس؟ إننا نحاكي التمثيلية.. قل: من كان ذلك الرجل؟

أحمدك : من أقول؟

خدا بخش : كان الذي أعطاك النقود يعلم أن الأسئلة لن تصل إلى هذا الحد.. ولذلك لم يعلمك الجواب.

أحمدك : (ينسحب جانبا) ابتعدوا.. دعوني.

(يمسك به الجمهور)

خدا بخش : خذوه إلى أحد الدكاكين.. اربطوا فمه.. نادوا حتى يحضروا تيمور.

البقال : هاتوا الثاني.

(همهمة.. أدخلوا أحمدك إلى دكان بيع الملابس.. يحضر حاملا الهراوات وتيمور من الجانب الأيسر)

خدا بخش : طيب يا تيمور.. لقد أدى زميلك شهادته وانصرف.. وحتى تزداد قناعة الجمهور أريد منك أن تكرر.. نعم.. قل للجميع: متى رأيت فجور المرأة؟ في أي

وقت؟

تيمور: (مترددا) قبل عشرة أيام.

خدا بخش: كلامك يختلف عن كلام زميلك.. عشرة أيام أو... أكثر؟

تيمور: أكثر.. خمسة عشر يوما!

(همهمة)

خدا بخش: حسنا.. في أي يوم كان؟

تيمور: يوم الأحد.

خدا بخش: أأنت متأكد؟

تيمور: كلا.. يوم الثلاثاء.

(همهمة)

محرر العرائض: وهذا اختلاف آخر.

خدا بخش: (يشير للجهور طالبا منهم السكوت) ذكر زميلك مكان الحادث، أتذكره أنت؟

تيمور: أين قال أحمدك؟

خدا بخش: هو قال إن ذلك كان في بيت أبيها.. أي في بيت زيتون التاجر.

تيمور: صدق.. كان هناك.. شاهدنا ذلك من فوق سطح البيت المقابل.

خدا بخش: لكن يا تيمور.. يعلم الجميع أن منزل زيتون التهمته النيران قبل أربعين يوما.. ولم يعد هناك دار.

(همهمة.. يحاول تيمور الهرب فيقبض الناس عليه)

بائع الملابس: كذاب وضعيف الذاكرة.

تيمور: كذب؟ من يقول إننا كذبنا؟

خدا بخش: اعترف أحمدك أمام الجميع بأنكما قبضتما خمسمائة دينار لهذا العمل.

تيمور: كذب.. كذب.. أخذنا أربعين فقط.

(همهمة.. يركض محرر العرائض وسط الجمهور)

محرر العرائض: أفهمتم؟ أفهمتم؟

(يدخل سليم الصعلوك من اليمين)

خدا بخش: انتهت المحاكاة.. كانت الفتاة طاهرة، وإنما تلقَّت جواب شجاعتها.. وكنتم جميعا آلات وصناع الجريمة.. لا تبتئسوا، فسيعطونكم أجركم اليوم.. دينار لكل رجل ودرهم لكل امرأة.

صانع الأقفال: وما علاقة هذا بهذا؟

بائع الملابس: علاقته أنك سترمي الحجر بقوة أكثر في المرة القادمة.

الإسكافي: أما أنا فلا آخذ.

البقال: حافظوا على هذا النذل، واسحبوا الآخر من الدكان، وقيدوا أيديهما.

تيمور: تقيدون أيدينا؟ هاي هاي.. إن سمع حضرة رئيس المخفر بذلك سلخ رؤوسكم.

(يخرج سليم.. يدخل رئيس المخفر وكبير العسس وبعض الحرس)

الحارس: سكوت.. حضرة رئيس المخفر!

رئيس المخفر: ما هذه الفوضى؟

البقال: سيدي رئيس المخفر.. لقد شهد هذان أمس شهادة زور.. وثبت لنا الآن أن الفتاة بريئة.

رئيس المخفر: بريئة؟! (لكبير العسس) أخبر جناب القاضي فورا.. (لخدابخش) وكيف فهمتم هذا؟

خدا بخش: لقد اعترفا بأنهما قبضا رشوة.

رئيس المخفر: كم؟.. وممن؟

خدا بخش: منك يا حضرة رئيس المخفر.. أربعين دينارا.

رئيس المخفر: هذا صحيح.. فأنا أقرضتهما أربعين دينارا ليدعا البطالة ويشتغلا بالكسب الحلال.

تيمور: (مسرورا) أجل.. كان قرضا.. وقد قلتُ ذلك.

رئيس المخفر: لكنكما لستما قابلين للإصلاح.. (للجميع) لو أنني كنت أعلم أن شهادتهما غير صادقة لقطعت يدي وعزفت عن هذا الثواب (لأحمدك) لستما أهل صلاح.

تيمور: أوتريد أن تقودنا إلى القتل أيها النذل؟

رئيس المخفر: (للحرس) خذوهما لينالا جزاءهما.

أحمدك: (خائفا) وماذا تريد أن تفعل؟

تيمور: (ثائرا) اتركوني..اتركوني.

(وبينما يخرجونهما بالقوة يبدو القاضي على السلم مضطربا)

القاضي: بنيَّ خدابخش.. (ضاحكا) يجب أن أقدم لك مسندي.. أنت القاضي العادل في المستقبل.. وإنني أشكرك على إشهارك لهذين الكاذبين الأفّاكين.. يبدو أنهما خدعا العدالة يا رئيس المخفر.

رئيس المخفر: وماذا ترى يا حضرة القاضي؟

القاضي: أرى أن بقاءهما على قيد الحياة خطر علينا جميعا.. والدم لايطهر إلا بالدم.

كبير العسس: الآن سأعطي الأمر.

رئيس المخفر: كلا.. (يسير) هذا من واجبي أنا.

(يخرج مسرعا فيتبعه خدابخش)

خدا بخش: يا حضرة رئيس المخفر.

كبير العسس: (يقف أمامه) أتريد منه شيئا؟

القاضي: (بمحبة) لنذهب يا ولدي.. يجب أن أكافئك مكافأة جيدة.

الحارس: (للحضور) حسنا.. اذهبوا إلى أعمالكم.

خدا بخش: كلا، كلا.. فمازال هناك مذنبون آخرون.

القاضي: فلنذهب ونتحدّث بشأنهم.

خدا بخش: هنا نتحدث أيها القاضي.. نبدأ بك أولا.. بك.

القاضي: انتبه إلى كلامك!

خدا بخش: كان إسكات تلك الفتاة في صالحكم جميعا أيها القاضي.. وكنتم تعرفون الشاهدين.

القاضي: اخرس!

(يدخل سليم وحيدر والنحاس من اليسار)

خدا بخش: أنت قبلت شهادتهما من غير أي تردد.. لماذا؟

القاضي: بحسن نيّة.. لأنني اعتمدت على أقوال الناس في الأصل.

خدا بخش: فلِمَ لم تعتمد على أقوال الفتاة؟

القاضي : أنت تثرثر كثيرا يا حيوان.. هيا اذهب إلى الديوان.

خدا بخش : أبدا.

القاضي : عجبا.. أرى أنك خلعت جبة الديوان.. فأنت تعادينى علنا.. يا جناب كبير العسس.

خدا بخش : لم تجبني أيها القاضي.

القاضي : أأنت تحاكم القاضي أيها الحقير الكافر؟

خدا بخش : أجل!

القاضي : (للجمهور) من يوافقه منكم؟ من يتهم القاضي؟

(سكوت)

البقال : نحن لا نتدخل.

خدا بخش : ولكنكم تدخلتهم بالأمس.

البقال : أخطأنا بالأمس.. ولا نريد أن نخطئ اليوم.

القاضي : أسمعت؟ إن خير ما أستطيع أن أفعله هو أن أهبك ثلاثمائة دينار، وأن أسمح لك بمغادرة هذه المدينة.

خدا بخش : أنا لن أرحل أيها القاضي..لقد دخلت هذه القضية، وسأبقى متابعا لها حتى النهاية.. هذا ما علمتني إياه أنت.

القاضي : إذًا أرحل أنا!

(يتحرك.. فيتعلق خدابخش بجيب قميصه)

خدا بخش : كلا.. لن تذهب يا قاضي.. ستبقى هنا حتى ينجلي كل شيء.

القاضي : النجدة... قتلني!

خدا بخش : اعترف أيها القاضي.

كبير العسس: (للحارس) اضرب!

(يشهر الحارس سكينه.. يسرع سليم وحيدر، لكن الحارس كان قد طعنه)

العجوز: (تصرخ) قتلوا خدابخش.

(يسقط خدابخش على يدي سليم.. يغضب الحاضرون. يدخل من الجانب الأيمن حمال قد انحنى ظهره من حمل ثقيل يحمله.. يسير بهدوء ليخرج من الجانب الأيسر)

خدا بخش: أخطأتم هذه المرة أيضا.

(يقع وسط المصطبة ويفارق الحياة.. تجلس المرأة العجوز على ركبتيها وتبكي فوق رأسه.. ينفصل حيدر عن الناس ويقف من غير حركة.. يجلس جميع الباعة على الأرض.. يستعيد القاضي قوته)

القاضي: ما شاء الله كأنه لم يخاصمني بل خاصم القدرة العليا، وهي التي حمتني من مقامها العالي.. أنا الذي لا ينقطع تسبيحي طيلة اليوم، ولا ينقطع سجودي خوفا من عذاب الآخرة. ومع كل الذي فعل أنا لا أحقد عليه، وأبكي له. وسيقام على روحه مجلس تأبين في محكمة العدل وعلى نفقتها. ولا شك أن شاهدي الزور قد أعدما الآن.. لكن هذا لن يسكن ألمي.. (يسير) أذهب لأصلِّي عليه.

طيفور: (يصرخ) أحضروا صندوق الفقراء.

(يبتعد القاضي ويخرج.. يُحضر حاملا الهراوات

صندوق الفقراء)

كبير العسس : (للحراس) احملوه (مشيرا إلى خدابخش)

(يتقدم الحراس.. ولكن قبل هذا يكون بعض الباعة قد حملوا خدابخش.. ينهض الباقون)

طيفور : إلى أين أنتم ذاهبون؟.. لقد أحضروا صندوق الفقراء.

(يسيرون بجثمان خدابخش بهدوء.. ويسير الباعة خلفه)

كبير العسس : (للحارس) انتبهوا... راعوا النظام!

الحارس : حاضر سيدي. (للحارس الآخر) انتبه.. حافظ على النظام.

(يبقى سليم وحيدر والنحاس في مكانهم بلا حركة.. يخرج الجثمان والمشيعون)

طيفور : بقي ثلاثة أشخاص فقط.. لا يناسب التعب.. أعيدوا الصندوق.

(يخرج طيفور وحملة الهراوات بالصندوق من الباب الأمامي.. سكوت)

حيدر : طيب.. عندنا الآن شهيد.

سليم : (غير مصدق) ماذا؟

حيدر : لقد ارتكبوا خطأ ما كان عليهم أن يرتكبوه.. عندنا الآن شهيد واحد.

سليم : (بغضب) قتل على مرأى منك.. وتقول هذا؟

حيدر : (يشيح بوجهه) وماذا تتوقع؟ أتتوقع مني أن أجلس

وأبكي كما يبكي الأطفال؟ لم يكن أحد يحبه كحبي له.. لم يكن أحد يعرفه مثلي.. أفهمت؟ لكنني لن أبكي عليه.. لن أبكي رجلا قال كلمته قبل موته.. ولكنني أبكي على من لم يجرؤ أن يعبر عن رأيه مخافة الموت.. (يهدأ) عندنا الآن شهيد.. وهذا هو الحق.

(يسير سليم بعصبية)

- ابقَ!

سليم: على الأقل أريد أن أعرف أين يدفنونه.

حيدر: قد تنكشف وتفتضح إن أنت ذهبت على هذه الحال.

سليم: لا تهتم بي إلى هذا الحد.

حيدر: ليكن.. (يمسك بجيب قميصه) فافضح نفسك.. (يجرّده من زيّه المتنكّر به بالقوة) اعمل شيئا حتى يقبضوا عليك!

سليم: ماذا تقول؟

حيدر: هذا نهاية طريقنا.

سليم: دعني.

حيدر: لا تنس لماذا مات خدابخش.. كان يحاول تعرية رؤوس الفتنة (آمرا) وعلينا أن نفعل هذا الآن.

سليم: ماذا تعني؟

حيدر: حسنا.. اصغ إلي.. لك أخت شابة وجميلة تصل من سفرها قريبا.

سليم: لا أحد لي.

حيدر: من الضروري أن يكون لك الآن.. اسمها طاووس.. كانت راقصة مبدعة في مدينة الري.. تزوجت قبل ستة أشهر، لكن أحد عشاقها قتل زوجها.. والآن هي قادمة إليك.

سليم: (للنحاس) أتفهم شيئا؟

النحاس: كنت أريد أن أسألك.

(يُخرج حيدر رداءَ سليم من الحجرة ويلبسه إياه بالقوة)

حيدر: تحرَّك يا صعلوك.. فأنت مازلت مطاردًا.. حاول أن تعمل شيئا حتى يعرفوك، وإن لم تفعل فضحتُكَ بنفسي.

النحاس: لقد أقسمنا يمين الأخوة جميعا.

حيدر: فإذا اشتبهوا بك فاهرب ثم تَخَفَّ حتى يتعلقوا بك.. أريد أن يقبضوا عليك بشكل طبيعي.. أسمعت؟

سليم: (يسير) صار أحدنا مجنونا.

(يخرج.. سكوت)

النحاس: أهنئك على جرأتك.

حيدر: من قال إني لا أخاف؟ أخاف (تريث) أخاف الآن أكثر من قبل..

ما أخبار مرجان؟

النحاس: أيام وتبدأ بالسير.

حيدر: علينا أن نؤمّن لها بعض أدوات الزينة.. أنا واثق أنك لن تعرفها إن هي تزينت.. فلنذهب، وعلينا أن نشرح لها الخطة، وعليك أن تُشيع نبأ قدوم أخت سليم.

النحاس: أي أخت؟

حيدر: تلك التي ستصل غدا.. لماذا لا تفهم؟

(يدخل الفاكهاني مستعجلا)

الفاكهاني: قبضوا على رفيقكم.. بالأمس أمسكوا به.. كان غارقا بدمه.

حيدر: كلا أيها الغبيّ.. عرَّض نفسه للقبض عليه.

النحاس: ما أحرج هذا الوضع!.. كيف نخبر أخته بذلك؟

حيدر: الفتاة المسكينة!

الفاكهاني: أكان لسليم أخت؟

النحاس: نعم.

حيدر: كلا.

النحاس: نعم، كلا.. السيدة التي تصل غدا راقصة.. راقصة اسمها طاووس. عاشت بضع سنوات في الغربة وتعود الآن، تبقى بيننا (لحيدر) مسكينة طاووس!

(يخرجون بسرعة.. يذهب الفاكهاني ليجمع بضاعته.. يدخل محرر العرائض وهو يمسح عينيه من الدموع)

محرر العرائض: ذهبت إلى مجلس عزائه.. (صمت) تألمت كثيرا.. (صمت) تعلمون؟ إنه فتى ليس له من يبكي عليه.

الفاكهاني : من الأفضل ألا يكون للإنسان أحد.. لأنه يسبب الابتلاء! لقد سمعتَ قصة سليم.

محرر العرائض : قبضوا عليه.

الفاكهاني : نعم.. له أخت اسمها طاووس.. أتذكَّر طفولتها.. كانت ترقص رقصا جميلا.. وبعد مضي سنوات تعود الآن.

محرر العرائض : فتاة وحيدة.. ستكون غريبة في هذه المدينة.

الفاكهاني : حاذر أن يسمع أحد.

(بينما كان الفاكهاني خارجا يصطدم بحارس)

الفاكهاني : سلام يا حضرة الحارس.

الحارس : الله معك.. (لمحرر العرائض) هاي.. أتكتب لي رسالة؟

محرر العرائض : إني أجمع أغراضي.. تعال غدا صباحا.

الحارس : أريد أن أستقيل من هذه الوظيفة.. حضرة رئيس المخفر يريد بناء مسجد، ويريد أن يجعلني مباشرا على بنائه.

محرر العرائض : إذا كان رئيس المخفر يريد الثواب فقل له أن يفرج عن سليم المسكين، على الأقل لقدوم أخته الآن.

الحارس : وهل عادت أخته؟

محرر العرائض : ها؟.. (مضطربا) غدا أكتب عريضتك.. وكأنك لم تسمع بخبر مجيئها.

الحارس : مالي ولهذا الخبر أصلا؟

(يخرج محرر العرائض من مقدمة الجانب الأيمن..

يدخل طيفور من أقصى اليسار)

طيفور: أيها الحارس.. قل لي أتعلم؟

الحارس: ماذا أعلم يا سيدي؟

طيفور: سمعت نبأ.. أريد أن أعلم أصحيح هو أم لا؟

الحارس: إذا كان النبأ متعلقا بأخت سليم.. فأنا لا أعلم شيئا.

طيفور: إن ما قلته كاف.. اتضح لي أن الخبر صحيح.

(يخرج الحارس من باب الديوان وهو مذهول.. من اليمين يدخل رئيس المخفر وكبير العسس)

كبير العسس: أيها الحارس.. أين حواسك؟

(يدير الحارس وجهه بسرعة.. ويدق قدميه ببعضهما بقوة)

كبير العسس: بَلّغني عن أخبارك.

الحارس: الأمن مستتبّ يا سيدي.. لم يقع أي حادث.. لا خبر يستدعي الذكر سوى أن مرتبات بعض الحراس تأخرت ثلاثة أشهر. كما أن بعضهم سيزور قبر خدابخش عند الغروب..

رئيس المخفر: وكم عددهم؟

الحارس: ليس كثيرا.

رئيس المخفر: أهناك خطر؟

الحارس: كلا لا يوجد.

كبير العسس: وماذا عن خبر قدوم هذه الفتاة؟

الحارس: صحيح يا سيدي.

كبير العسس: أأنت واثق من أنها وصلت ليلة أول أمس؟

الحارس: أجل يا سيدي.. كنت موجودا هناك ورأيتها بعيني.. (يضحك) إنها جميلة جدا يا سيدي.. وبلغني أنها ليست خشنة في لقائها.

رئيس المخفر: يبدو أن هذا الحارس ضعيف الأخلاق!

الحارس: (يدق كعبيه ببعضهما) عذرا سيدي.

كبير العسس: اذهب.

الحارس: (يدق كعبيه ببعضهما) ليلتكم سعيدة يا سيدي. (يدور في مكانه ثم يخرج)

رئيس المخفر: أنا سعيد لأن الأوضاع طبيعية.. أتذكر ما قلتَ؟ لا أحد يعرّض نفسه للخطر.. لنذهب.

كبير العسس: أنا يا سيدي.. أستأذنك بالانصراف.

رئيس المخفر: ها.. نعم.. (يضحك) بلغني أنك تطعم المساكين مساء.

كبير العسس: (يضحك) شيء لا قيمة له.

رئيس المخفر: جميل..! وأنا كذلك أبني مسجدا.. وحين تعود من سفرك سترى أن مسجد رئيس المخفر أكبر مساجد مدينة بلخ.

كبير العسس: ماذا نفعل بسليم الصعلوك يا سيدي؟

رئيس المخفر: سليم؟.. نعم.. ألم يتحدث عن المكان السري؟

كبير العسس: إنه يقسم بأن لا وجود لمثل هذا المكان.. ويقول إن من يعرف من الصعاليك قد هاجروا من بلخ.

رئيس المخفر: هكذا إذاً.

كبير العسس: وماذا نفعل في عقوبته؟

رئيس المخفر: (يفكر) الحقيقة أنه مادام قد صار معيلا فإن وضعه يختلف، فهو الآن المسؤول الوحيد عن العروسة الجديدة.. ويمكن لأهله أن يطلبوا العفو عنه.

كبير العسس: صحيح يا سيدي.

رئيس المخفر: فتمهَّل قليلا لنرى ماذا سيحدث.. أنا ذاهب إلى المخفر.

(يدخل النحاس في ثياب فقير)

النحاس: ساعدوني.. أنا فقير.

كبير العسس: (ينقد الفقير) ليلتك سعيدة.

(يخرج كل واحد منهما من ناحية.. يتوقف النحاس، ينظر حوله ثم يشير إلى الخارج، فيدخل من يسار مقدمة المسرح حيدر.. يراقبان الأطراف)

النحاس: (إلى الخارج) تعالي.. أسرعي.

(تدخل مرجان من يسار مقدمة المسرح، وقد تغيرت كليا بثيابها وزينتها.. يقع بصرها على المصطبة، فتتوقف. يطل النحاس برأسه إلى الممر الأيمن)

النحاس: تأخر أبوك.

حيدر: أفضل الذهاب إلى الخان.

النحاس: (لمرجان) هيا.. أسرعي.

(يسير حيدر والنحاس بينما تتوقف مرجان في مكانها)

حيدر: لماذا توقفت؟ تريدين مغادرة هذه المدينة...

النحاس : أسرعي!

(صمت)

مرجان : (تنظر مشدوهة إلى المصطبة) أكان هنا؟

(سكوت.. يخفض حيدر والنحاس رأسيهما.. تتجه مرجان بهدوء وتؤدة نحو المصطبة)

- من أجلي أنا؟

حيدر : بلغني أنه كان يحبك.

مرجان : كنا نسكن معًا في بيت واحد.

النحاس : فلهذا اقبلي.. ولا تغادري بلخ.

حيدر : لماذا تلح عليها؟.. (ينظر) جاء أبوكِ.. انهضي.

(لا تنهض مرجان.. يدخل زيتون التاجر وهو يلهث)

زيتون : القافلة منتظرة.. أين ابنتي؟

النحاس : اسكت!

زيتون : ألم تعداني بأنني سأراها اليوم؟

النحاس : وأنت تراها الآن.

حيدر : تقدَّم.

زيتون : أنا لا أعرف هذه السيدة (يتوقف فجأة) أتريدان أن تقولا إن هذه مرجان؟

مرجان : السلام عليك يا أبتِ.

زيتون : كم تغيرت يا ابنتي!

النحاس : أرأيت يا مرجان؟ حتى أبوك لم يعرفك.

زيتون : أنا لا أحب هذا السلوك.. لا أستحسنه.

حيدر : لو أننا عملنا غير هذا لعرفوها.

زيتون: الحق معكم.. سامحوني فأنا مصاب بدوار.. وكثيرا ما أنسى أين نحن.. هيا يا ابنتي، انهضي، فأخوك ينتظرك، والقافلة على أهبة الرحيل.

مرجان: أنا لن آتي يا أبت.

زيتون: (لحيدر) ماذا قالت؟

مرجان: لقد قتل إنسان هنا من أجلي.

زيتون: لا مجال لهذا الكلام الآن.

مرجان: يجب أن يعاقبوا على أعمالهم.. يجب أن يقتصّ منهم.

زيتون: (لحيدر) ماذا تقول؟

حيدر: الحق مع ابنتك، فقد قتل رجل هنا.. كان يريد أن يقول لنا جميعا شيئا.. فإن لم يفعل أحد ما كان ينويه ضاع دمه هدرا، ومات دون جدوى.

النحاس: أسوأ ما يكون أن يموت المرء مهدور الدم.

زيتون: لماذا لا تقدّرون موقفي؟ أنا أب فقدَ كلَّ شيء.. ولم يبق لي من هذه الدنيا سوى ولدين.. وهما فقط مبعث سروري.

حيدر: أمهلنا.

زيتون: كلا!

مرجان: (تنهض) أنا حاضرة.

زيتون: مرجان، يا ابنتي.. أذكر أنك كنت تخجلين حتى من النظر إلى المرآة، ما كنت ترفعين بصرك عن الأرض.. أما الآن فأراك تتكلمين، وكأنك لا تعرفين

أباك مطلقا.. لقد تغيرت كثيرا يا ابنتي.

مرجان: صحيح.. أنا لم أَعُد ابنتك الساذجة.. لقد أهانوني.. اتهموني.. رجموني.. تعلمت أشياء ما كانت بخاطري أبدا.

زيتون: انسي ذلك.. فأنت الآن ابنتي.

مرجان: أين كنت حين قتلوني؟ مرجان ماتت.. ومن تراها أمامك واقفة اسمها طاووس، أخت سليم الصعلوك، التي تزوجت أخيرا وقتلوا لها زوجها.. وتريد أن تفضح قتلة زوجها.

زيتون: (لحيدر) قل لها شيئا.

حيدر: حددت مصيرها بنفسها.. ولا يمكن تغيير قرارها.

زيتون: أرجوكم.

حيدر: لقد نزلت ابنتك ساحة الحرب.. وتحولت من فتاة ساذجة إلى رجل شهم.

(صوت الطبل من بعيد.. تريث)

النحاس: تحركت القافلة.

(سكوت. يجلس زيتون عاجزا)

حيدر: أمهلنا هذا الأسبوع.. فلدي خطة.

زيتون: ماذا تستطيعون أن تفعلوا بعددكم الضئيل؟

حيدر: اسمع أيها الأب، فلعلك لا تعلم.. إن الدماء قد هاجت في العروق، وإن أمورا جرت لم يكن لها وجود قبل هذا.. كل امرئ يفكر بشكل ما.. كل فرد يبحث عن طريقة. لكن هؤلاء متفرقون، ولن يبدأ

أي منهم، لأن كل واحد منهم وحيد. وكل واحد منهم يعتقد أنه هو وليس سواه. ونحن نسعى لأن نجمعهم ونوحدهم!

زيتون: لكن هذا الأمر ليس سهلا.

حيدر: أجل ليس سهلا، ولهذا نحن بحاجة إلى معين. نريد أن نكشف الستر، نريد أن نفضحهم.

زيتون: ولكن.. كيف؟

حيدر: أتريد أن تعرف؟ حسنا، فاستمع.. غدا تذهب أخت سليم الصعلوك إلى السوق لتشتري.. وحسب الاختبار الذي أجريناه هذه الليلة فإن أحدا لن يعرفها.

النحاس: وكيف سيعرفونها ما دامت مرجان قد ماتت؟ (يدخل سلمان)

سلمان: رحلت القافلة يا أبت.

زيتون: اسكت يا سلمان واصغ بدقة! (لحيدر) حسنا.. ذهبت أخت سليم إلى السوق.

حيدر: ولن يحل غروب يوم غد حتى ينتشر خبر جمال طاووس في كل مكان.

زيتون: أو تريدون أن تتخذوها ذريعة؟

حيدر: هذه هي الطريقة الوحيدة.. لتظل ابنتك طاهرة شريفة.

سلمان: ماذا؟.. مرجان؟

حيدر: وبعد غد تذهب إلى منزل كبير العسس لتتوسط

لأخيها.. ويعدها كبير العسس.. ولكن هناك احتمال (لمرجان) أنه لا يستطيع أن يحتفظ بك في داره.

النحاس: حقا.. لأنه يخشى أن تُمسَّ سمعته.

حيدر: ولهذا سيترامى إلى خاطره أن يأتي إلى منزلك.

سلمان: ولكنها بلا دار.

النحاس: تضع العجوز دارها تحت تصرفها.

حيدر: فتذهبين إلى المخفر، ثم إلى دار القاضي. يجب أن تَعدي الثلاثة في ليلة واحدة.

زيتون: فإن لم يتم ذلك؟

حيدر: سيتم ذلك.. (إلى مرجان) اختلقي عذرا للعجوز، واطلبي منها أن تذهب إلى حفل عرس.. وتغيب ليلة واحدة فقط.

النحاس: حددي موعدا واحدا للثلاثة.. عند منتصف الليل.

حيدر: حسنا.. سأعتمد على ضعف هؤلاء الثلاثة: رئيس المخفر، والقاضي، وكبير العسس.. لكن اعتمادي الأكبر على ذكائك. تذكري أن عليك أن تلهبي مشاعرهم وأشواقهم بعد تمنعك في بادئ الأمر. ويجب أن يتصوروا أنك تُقبلين عليهم من أجل أخيك.. لكنك في الواقع تتدللين وتتحدثين عن وحدتك وغربتك.

النحاس: تذكري أنك عروس تزوجت حديثا ومات عنها زوجها.

حيدر: وهذا حسبك.

(تريث.. تجلس مرجان على ركبتيها فوق المصطبة)

مرجان: صحيح.. ماتٍ هنا.

حيدر: هيا انهضي يا مرجان.. إن أردت أن تقومي بعمل فعليك أن تسيطري على نفسك.. تحدثي، اضحكي، تغنَّجي.. ومع ذلك تحجبي... (ينهضها) هيا اخطري لأرى.. ليس هكذا.. كوني أكثر راحة، فالراقصة تسير أكثر راحة من هذا.. أكثر راحة.

زيتون: لا يمكن.. لا يمكن.

حيدر: نعم، نعم.. يمكن.. ستنجح حتما.

زيتون: حسنا.. فلنفترض أنكم وفقتم.. فما بعد هذا؟ ما بعد هذا؟

حيدر: أتودون أن أسرد الخطة كلها؟

زيتون: نعم.. وبعد هذا؟

حيدر: أسرعوا يا شباب.. أحضروا الصناديق.. الخمرة.. الخمرة الكالَنْجرية.

(حركة على المسرح)

- هيا.. (لزيتون) هذه خمرة فتاكة.. إذا اختلطت فإن كأسا واحدة منها تصرع كل مدمن عتيق.. (إلى الآخرين) ساعدوا.

(أخرج سلمان والنحاس ومحرر العرائض ثلاثة صناديق من الحجرة، ووضعوها على المصطبة.. تُلبس العجوز مرجان - على المصطبة - ثوبا أحمر

(اللون)

النحاس : أبقي شيء؟

محرر العرائض : الإبريق، الكؤوس، ملابس الطرب، أحمر وأصفر وأخضر.. هذه الوجوه المستعارة.

حيدر : جميل.. جميل.. كرسي، آلة العزف.

(يضع محرر العرائض الكرسي.. يتقدّم النحّاس بآلة العزف)

حيدر : حسنا، حسنا، حسنا.. لنفرض أن غرفة طاووس هنا.. (إلى الآخرين) ابتعدوا، ولكن كونوا يقظين.. (لمرجان) اجلسي يا طاووس! اعزفي!.. (لزيتون) من سيأتي أولا في رأيك؟

زيتون : لا أستطيع التكهن.

حيدر : فلنفترض أن القاضي جاء أولا.

(يخرج القاضي من الباب الأول بثياب غير رسمية، وخلفه طيفور)

طيفور : قل لي يا سيدي على الأقل إلى أين أنت ذاهب؟

القاضي : ولماذا تريد أن تعلم؟ عد إلى الداخل، ولا تدع أحدا يلتفت إليّ.

(يخرج طيفور من باب الديوان.. يتقدم القاضي)

حيدر : نعم.. القاضي يأتي أولا.. (يدق برجله الأرض طَرَقَ الباب!

(تذهب مرجان لتفتح الباب إذ لا يوجد من يفتح الباب.. يدخل القاضي بحذر)

مرجان: جئت مبكرا أيها القاضي.

القاضي: (يضحك) من شدة الشوق.

مرجان: ما ألذ رائحة العطر! أهي منك؟

القاضي: أنت تزدادين إغراء بين اللحظة والأخرى... إليك هذه الرقعة الخطّية، وقد أوصيت فيها كبير العسس بأن يطلق سراحه.

مرجان: (تريد أخذها) أنا شاكرة.

القاضي: (يسحب يده) لا..

مرجان: لماذا؟

القاضي: (يضحك) هناك أمور أخرى أولا بيننا.. أليس هذا خمرا؟

مرجان: لا تشرب منه يا قاضي.. كان زوجي إذا شرب منه يسكر ويضربني.

القاضي: (يحاول أن يأخذه) ناوليني إياه.

مرجان: (تُبعد يده) لا..

القاضي: (يأخذه) لماذا؟

مرجان: لأنك لم ترتَدِ ثياب الغضب.

القاضي: ثياب الغضب؟

مرجان: كان زوجي في مثل هذه اللحظات يرتدي ثوبا أحمر.

القاضي: هاتِه.

مرجان: لا.. (تعطيه) أنت ذو حرارة من غير هذا.

القاضي: حقيقة؟ (يرتدي) ما رأيك؟.. ها.. هكذا أحسن؟

مرجان: أنا وصيفتك.

القاضي: أحسُّ أنني صرتُ شابا.

مرجان: أنت الآن لا تختلف عنه أبدا.. سوى أنه يشرب الخمرة دفعة واحدة.

القاضي: حقا؟.. (يشرب دفعة واحدة).

حيدر: ومن تتصورون أن يكون الثاني؟

زيتون: أحد الاثنين الآخرين.

حيدر: فليكن كبير العسس.

(يدخل كبير العسس من أقصى المسرح بثياب مبدلة وهو محتاط.. حيدر يخبط الأرض بقدمه، فيضطرب القاضي)

القاضي: من يقرع الباب؟

مرجان: (قلقة) لا أدري.. لعله صاحب الدار.

القاضي: ماذا لو أنه عرفني؟ إني رجل شريف.

مرجان: اختفِ في موضع ما.. عجّل.. ادخل هذا الصندوق.

القاضي: (مترددا) الصندوق؟

مرجان: واخرج بعد أن يدخل غرفته.. هيا.. آه الخمرة.

القاضي: ماذا حدث؟

مرجان: ماذا لو رآها؟ ضعها معك.

القاضي: في الصندوق؟

مرجان: إذا لم تُرد فلا تدخل.. أنا لا أجبرك.. (مقهورة) ابق في مكانك.

(صوت قرع الباب)

القاضي : ادخـــــل.. ادخـــل.. (يضحـك) لا تغضبـــي.. لا تحرقيني.. (يحمل وعاء الخمرة) وهذه أخذتها.. فقد تلزمني.

مرجان : سأصرفه بسرعة.

القاضي : (ينظر في داخل الصندوق) ماذا في الصندوق؟

مرجان : وجوه مستعارة للمطربين.. هيا.

(تغلق باب الصندوق وتقفله فورا.. ترتب مظهرها.. يدق حيدر الأرض برجله)

مرجان : آتية!

(تفتح الباب، إذ لا يوجد من يفتح الباب.. يدخل كبير العسس)

كبير العسس : كم عطلتني يا حبيبة فؤادي؟

مرجان : ألم يروك؟

كبير العسس : صرفت حراس هذه المحلة.. خذي هذا الأمر كي يطلقوا سراحه في صباح الغد.. كرامة لورد وجهك.

حيدر : غاب القاضي عن الوعي تماما.. كبير العسس في غاية الشوق.. رأى الخمرة.. هذه المرة تود مرجان أن يرتدي رجلها ثوبا أصفر.. شرب الخمرة دفعة واحدة.. وجه مستعار!.. يضحك.. يتجه نحو الثوب.. يضحك.. يصاب بالدوار.. تريد مرجان أن تعزف له.. لكن رغبة كبير العسس مفعمة نحو شيء آخر.. يهاجم مرجان.. رئيس المخفر يصل..

(يدق برجليه الأرض).. يقرع الباب.. يريد كبير العسس أن يختفي.. هيا إلى الصندوق.. دخل في الصندوق.. اقفلي!

مرجان : آتية..!

(تذهب إلى الباب إذ لا أحد يفتح.. يدخل رئيس المخفر بحذر، لكنه ثمل يتمايل.. يدخل)

مرجان : أأنت سكران؟

رئيس المخفر: أجل يا مرجان.. وعليك أن تسكريني الآن.

مرجان : ومن هي مرجان هذه؟

رئيس المخفر: أأنا ذكرت مثل هذا الاسم؟ نعم.. اعذريني.. فأنت شبيهة بها قليلا.

مرجان : لم أستسغ هذا!

رئيس المخفر: لا تغاري يا عزيزة قلبي.. تعالي.. تعالي غني.

مرجان : وماذا أغني؟

رئيس المخفر: غني رثاء لها من نظمي.. فقد ماتت منذ حين.

مرجان : صحيح؟.. أسفا عليها.

رئيس المخفر: لكنني سررت.. فقد اتضح لي أنك تحبينني.. تعالي أعطيك شِعرا غيره قلته فيك.. في وصفك يا طاووس! أتريدين مني أن أنشده؟ ألا تسأمين؟

مرجان : كلا.. أنا سهرت لأجلك.

رئيس المخفر: لماذا يتزايد تنفسك؟ فما أجمل توريد خديك!

مرجان : تعال البس هذا.. إنه لزوجي المرحوم.

رئيس المخفر: فأنت تريدينني حقا.. هه.. أعطيني إياه.. أريد أن

أفرح روح زوجك المرحوم هذه الليلة.

مرجان : وهذه الخمرة صنعها بيديه.

رئيس المخفر : هاتها.. (يشربها دفعة واحدة) أين فراش زوجك المرحوم؟

مرجان : ألن تنشدني شعرك؟

رئيس المخفر : لابأس.. نتركه إلى ليلة أخرى.

مرجان : ولكنك قلت إنك تريد إنشاد هذا الشعر.. أنت تنشد وأنا أعزف!

رئيس المخفر : هيا!

(تتناول مرجان آلة العزف وتشرع بالعزف بسرعة)

حيدر : الإشارة!

رئيس المخفر : دعي هذا.. وتعالي.

مرجان : ولكن .. ولكن.. أنت لست زوجي.

رئيس المخفر : (يضحك) تستحين.. (يتريث) أو تبكين؟

مرجان : (مستاءة) كلا.. كلا.. لاشيء.. (تسترجع قوتها) تذكَّرتُه.

رئيس المخفر : مَن؟

مرجان : ذلك الميت.. عشنا معا مدة قصيرة جدا.. (تبتسم) أنا جاهزة.. أدر وجهك فقط.

رئيس المخفر : (ضاحكا) لا عليك يا حبيبتي.

(يخبط حيدر الأرض بقدمه.. يضطرب رئيس المخفر)

رئيس المخفر : من يكون؟

حيدر: دخل لص على هذه المحلة.. افتحوا الباب.

مرجان: رأوك!

رئيس المخفر: قولي ليس هنا.. ليس هنا!

مرجان: إن كان رآك فلن يصدق.

رئيس المخفر: وَي.. يجب ألا يعرفوني..

مرجان: خذ الوجه المستعار.

رئيس المخفر: (يأخذه) يجب أن أختفي في مكان.. أين أذهب؟

مرجان: لا أعلم.

العجوز: افتحي!

رئيس المخفر: (يتجه نحو الصناديق) أنا ذو سمعة جيدة.

مرجان: هذا واحد مفتوح.. لا تحدث صوتا.

رئيس المخفر: (يدخل الصندوق وهو يضحك) أسرعي بخداعه كي ينصرف يا حبيبتي.

(يدخل رئيس المخفر.. تقفل مرجان باب الصندوق.. يدخل حيدر ومحرر العرائض وزيتون)

حيدر: يبدو أن الأمور سارت على ما يرام.. (يسلم أوامر الإطلاق إلى محرر العرائض) أطلِق سراح سليم.. وقل له إن وقت الخروج قد حان.

(يخرج محرر العرائض مسرعا.. صمت)

ـ حسنا يا مرجان.. لم يبق للفجر سوى القليل.. القافلة ترحل أول السحر.

زيتون: لقد رفعتِ رأسي يا ابنتي.. رفعت رأسي.

مرجان: (لحيدر) أنا لن أغادر بلخ.

زيتون : ماذا قلتِ؟

حيدر : ارحلي يا مرجان.. فقد تقع هنا أحداث.

زيتون : أسمعتِ؟ من أجل أبيك تعالي.

مرجان : وسأبقى من أجل زوجي!

زيتون : ولكن لم يعد لي مكان في بلخ بعد الآن.

حيدر : خذي.. هذا مفتاح منزلك.. أعطاني إياه زوجك قبل وفاته بليلة واحدة.

مرجان : (تأخذه) كان زوجي شريفا عزيزا.. سأمضي ليلتي هذه حتى الصباح بجوار زوجي.

زيتون : لا تبكي يا ابنتي.. فأنت متعبة.

مرجان : (ترفع رأسها) أريد أن أشاهد فضيحتهم.

حيدر : إذًا.. أزيلي زينتك يا طاووس.. فالآن مرجانة هي التي يجب أن تشهد.

زيتون : هيا يا ابنتي.. سنبقى في بلخ.

(يبتعدان)

النحاس : الآن.. لم يمت خدابخش هباء.. لقد فعلوا ما لا يُنسى أبدا.

(هدوء.. يدنو سلمان)

سلمان : وماذا سنفعل بهؤلاء؟

حيدر : علينا أن ننقلهم قبل شروق الشمس إلى وسط الساحة أمام الديوان.

سلمان : (يتراجع فجأة) صوت الديك.. نسيم السحر.

النحاس : (يتراجع) انظر.. بدأت الشمس تشرق.

حيدر: (يشير إلى الصناديق) اسحبوها إلى الطرف.. هاي.. هاي.. هاي.

(وفجأة يهرع الناس الذين يأتون كل يوم فجأة.. أصوات متداخلة.. أصوات كل يوم.. شيئا فشيئا يتوجهون نحو الصناديق)

الفاكهاني: ما هذه؟

الحداد: أعلم أنها صناديق.. لكنني لا أدري من أين جاءت؟

البقال: تُسمع منها أصواتٌ غريبة.

صانع الأقفال: أتريد أن نفتحها؟

الحداد: نعم نفتحها.

البقال: ولماذا نحن؟.. ليس لنا الحق في ذلك.. إن أردنا فتحها فيجب أن يكون ذلك بحضور رئيس المخفر أو كبير العسس.

الفاكهاني: فما رأيكم أن نذهب إلى القاضي؟

البقال: قلتَ صوابا.

(يذهب البقال ومعه شخص آخر.. يدقان باب الديوان. يدخل حارس من الجانب الأيسر)

الحارس: أما رأى أحدكم جناب رئيس المخفر أو حضرة كبير العسس؟

صانع الأقفال: ونحن نبحث عنهم أيضا.

الحارس: ما هذه الصناديق؟

صانع الأقفال: نحن كذلك لا ندري.. ذهبوا ليخبروا القاضي عنها.

(يدخل طيفور من باب الديوان)

البقال: قل لحضرة القاضي أن يشرف ليرى ما هذه الصناديق.

طيفور: حضرة القاضي ليس هنا.

البقال: غير موجود؟ لابد أنك مخطئ.. يجب أن يكون الآن في الصلاة.

طيفور: كلا.. خرج من البيت عند منتصف الليل.. ولما يعد.

صانع الأقفال: (للحارس) فماذا نفعل بهذه الصناديق الآن؟

العجوز: ربما فيها جنّ.

العجوز: أقترح أن نحرقها.

صانع الأقفال: لا يا عم.. كأنها أصوات آدميين.. (للحارس) أتسمح؟

الحارس: لا بأس.. افتحوها.

(يتقدم صانع الأقفال وآخران معه نحو الصناديق لفتحها.. يدخل سليم ومحرر العرائض من أقصى المسرح)

الفاكهاني: (للحارس) ما كنت أريد البوح من البدء.. غير أني رأيت رئيس المخفر وكبير العسس ليلة أمس ذاهبَيْن إلى محلة المطربين.

الحارس: لا تقل جزافا!

الفاكهاني: لم يكونا ثملين.. ربما ذهبا لقبض أسهم بيوت الهوى.

البقال: ماذا قلت؟

الحارس: يقصد الضريبة.. أليس كذلك؟ (بصوت عال

حضرة رئيس المخفر يبني مسجدا!

البقال : كبير العسس يقدم طعام الغداء للفقراء كل يوم!

الفاكهاني : حسنا.. فربما أخطأت.

(يفتح غطاء الصندوق الأول.. فينهض منه كبير العسس بوجه مستعار وثياب مضحكة)

صانع الأقفال : ألم أقل إن فيه إنسانا؟

(يضحك الجميع ويسخرون.. يخرج صانع الأقفال إبريق الخمرة من الصندوق)

صانع الأقفال : شرب ما فيه حتى الثمالة.

(يحاول كبير العسس الهرب فيحولون دون ذلك)

البقال : من أنت؟ ولماذا تتمايل؟

بائع الملابس : لابد أنه مطرب.. من هؤلاء الكفرة.

الإسكافي : كيف دخل في الصندوق؟

(يخرج من الصندوق الثاني رئيس المخفر، وعليه وجه مستعار وملابس مضحكة)

الفاكهاني : انظروا إلى هذا.. ماذا فعل بنفسه؟

البقال : إن رائحة الخمرة شديدة.. لا حياء.. فاسقون لا يعرفون الله!

الحارس : هذه الأفعال جرائم.. فساد علني!

(يبرز القاضي بالوجه المستعار والملابس الغريبة)

الإسكافي : يا هذا العجوز.. أأنتم راقصون؟

(يؤكدون كلامه بهز رؤوسهم)

الحارس : أو لستم لصوصا؟ من أين نعلم أنهم راقصون؟

الحداد : يتضح الآن لنا.. هيا ارقصوا.

الإسكافي : فلندعهم يذهبون.

الحداد : سندعهم.. شريطة أن يرقصوا أولا.. هيا.

(يؤكد ذلك بعضهم فيصفقون.. فيضطر الثلاثة أن يقدموا حركات غير متوازنة.. فيضحك الجميع. يتقدم حيدر فجأة ويرفع القناع عن وجه كبير العسس فيتوقف الجميع مذهولين.. يحاول كبير العسس الهرب لكنهم يقبضون عليه.. الحارس يتسلل بهدوء ويخرج)

بائع الملابس : انظروا لمن كنا نسلم أنفسنا.

البقال : أنا لا أصدق.. يا رب.

(يحاول رئيس المخفر أن يهرب فيمسكون به ويرفعون قناعه)

رئيس المخفر : خدعوني.. خُدعت.

الإسكافي : (ساخرا) كنت تبني مسجدا؟

بائع الملابس : (مستهزئا) كنت تنوي زيارة العتبات المقدسة؟

الحداد : ومن هذا؟

(يتجه نحو القاضي، فيمنعه البقال)

البقال : تمهل!.. (للقاضي) ألست القاضي؟ كنت أصلّي خلف القاضي.. وكنت أذهب كل يوم جمعة لتقبيل يده.. ألست أنت.. ها؟

(يرفع القاضي قناعه بنفسه)

البقال : كان خدابخش صادقا (كالمجنون) لماذا أنتم واقفون؟

(يهجم الجميع.. يختفي الثلاثة داخل حلقة التجمع. يدخل طيفور مع حملة الهراوات والفراشين)

طيفور: هيا.. القاضي بين هؤلاء.

حيدر: دافعوا عن أنفسكم!

(يتنبه الناس إلى حالهم، فيحمل كل واحد منهم ما وصلت إليه يده.. فيهرب الفراشون وحملة الهراوات)

رئيس المخفر: (يصرخ) يا طيفور.. أخبر حضرة الأمير القائد.

(يسرع طيفور.. فيمسكون به عند نهاية الطريق)

طيفور: (خائفا) أقول لكم كل ما أعرفه.. ملفّ هؤلاء القتلة عندي.. هؤلاء قتلوا الفتاة البريئة.. هؤلاء قتلوا خدابخش.. هؤلاء كذبوا على القاضي الكبير.

القاضي: وأنت كنت شريكا معنا يا طيفور.

طيفور: لقد رشوني بالمال.

(يمسكون بطيفور)

الفاكهاني: غدا كل شيء واضحا الآن.. هؤلاء خدعونا طول عمرنا.

حيدر: هيا يا سليم.. قُدهم إلى سجن الديوان المظلم.

البقال: كلا.. بل يجب أن نطوف بهم داخل المدينة.. يجب أن يعلم الجميع.. نركبهم الحمير.

الفاكهاني: وداخل الأقفاص!

الحداد: هيا.. يا الله.. تحركوا!

النحاس : (فجأة) صبركم.. أين الحارس الذي كان هنا؟
(تريث)

رئيس المخفر: (مسرورا) لابد أنه أخبر.. (للحضور) أنتم بأنفسكم حفرتم قبوركم.. لن يترك الأميرُ القائدُ واحدا منكم.

كبير العسس : سيعاقبكم بشدة!

حيدر: اخرس!

رئيس المخفر: أيها البؤساء.. أنتم حملتم السلاح.. عادَيتموه.. أتعلمون معنى هذا؟ لا سبيل إلى عودتكم..!

حيدر: (يصعد المصطبة) كان لزاما أن يبلغ الأمر هذا الحد.. ذنب حضرة الأمير القائد أفدح من الجميع.. فهو الذي أطلق أيدي هؤلاء.

البقال : هذا صحيح.. وقد عرفنا الجميع.

حيدر: أسمعتم ما قال؟.. لم يعد لنا مناص للتراجع.. (لسليم) خذهم إلى السجن فورا.. هؤلاء رهائننا يا سليم.. (للجمهور).. انتشروا في المدينة الآن.. هاي.. احملوا كل ما يقع تحت أيديكم من عصيّ وهراوات ورماح وحراب.. أيها الحداد.. أين دكانك؟

الحداد : خلف هذا المكان مباشرة.

حيدر: أحضر كل سلاح صقلته أخيرا.. (للباقين).. أفرغوا تلك الأطباق واجعلوها أتراسا لكم.. فوق السلالم، على السطوح، في الغرف.. خذوا مواقعكم..

وأنت يا سلمان تعرف ما في الديوان.. أحضر لنا ما تجده من أسلحة..

(حركة فوق المسرح.. قادوا رئيس المخفر وكبير العسس والقاضي وطيفور.. يذهب سلمان إلى الديوان.. يتحرك الإسكافي)

الفاكهاني: إلى أين؟ (يتوقف الإسكافي) كنا معا وسنبقى معا.

الإسكافي: أنا لستُ محاربا.

البقال: يجب أن تكونه الآن.. فإن تغلبوا علينا فلن يرحمونا.. فأقدم ولاتدعهم ينتصرون.

الإسكافي: وماذا يخرج بأيدينا؟

حيدر: بلخ ليست جزيرة لا تتصل بالخارج.. فالقافلة رحلت هذا الصباح وحملت معها أخبارنا.. أتعلم أيها الرجل.. إن الأمر بدأ!

العجوز: (خائفة) مرجان.. مرجان..

(يسكت الجميع.. تدخل مرجان وزيتون)

العجوز: (بسرور) إنها حية.

سلمان: لقد ظلت حية لتشهد هذه اللحظة.

الإسكافي: إنها هي!

مرجان: السلام عليكم.

البقال: أيتها الفتاة الطاهرة.. لقد أخطأنا بحقك ذلك اليوم.. بسبب حماقتنا رُجِمَتِ.. نعم.. نعم.. ولقد قتل هنا إنسان آخر بسبب حماقتنا.. هو الذي أثبت طهرك.. لقد أثبت لنا أمورا كثيرة، لكننا

تركناه وحيدا.. عجيب.. كأنه حاضر بيننا الآن.

(لا يستطيع المتابعة)

حيدر: اذهبي أنتِ الآن يا مرجان!

مرجان: كلا.. بل سأبقى معه.

سلمان: (قلقا) مرجان..

مرجان: صحيح.. إنه هنا.. بين الجمهور.

حيدر: (يدفع حربته إلى مرجان) خذي!

(يأخذ يد مرجان.. ويقودها إلى المصطبة)

حيدر: حسنا.. فليذهب من أراد.

(تريث.. لا يذهب أحد)

حيدر: (لمرجان) لعلهم يخجلون منك الآن يا مرجان..

مرجان: سأغمض عينيَّ.. هيا.

(تجلس، وتغطي وجهها بقماشة)

مرجان: أغمض عيني!

حيدر: حسنا؟

(تريث.. لا يذهب أحد)

الفاكهاني: فلنبق جميعا.

الإسكافي: أعطوني حربة أيضا!

(يدخل سليم وسلمان وآخرون من باب الديوان، وهم يحملون مجموعة من الرماح والحراب والدروع.. من الجانب الأيسر ينادي محرر العرائض)

محرر العرائض: قَدِمَ الحراس!

(جلبة وهياج على المسرح)

حيدر: عجل يا سليم.. خذوا مواقعكم.. ارقوا السطوح.. فهناك كثير من الحجارة والآجر.. أعطني حرية أيضا يا سليم.. اذهبوا إلى مدخل ذلك الزقاق.. وأنتم خذوا مواقعكم عند مدخل هذا الممر.. هيا.. هيا.

(يدخل بعض الحرس وهم يحملون رماحا وحرابا)

الحارس الأول: (باصطفاف منتظم) قف! (للناس) القوا ما في أيديكم إلى الأرض.

الإسكافي: بل القوا أنتم.. إن رئيس المخفر وكبير العسس والقاضي أسرانا.

الحارس الأول: حياتهم لاتهم جناب الأمير القائد.. سيعين كبير عسس وقاضيا ورئيس مخفر آخرين.

البقال: من الآن فصاعدا نحن أنفسنا الذين نعينهم.

الحارس الأول: فأنتم بذلك تعادون جناب الأمير القائد.. (لمن خلفه) استعدوا!

الحارس الثاني: (ينظر إلى السطوح) إنهم موجودون في كل مكان!

الحارس الأول: (بمحبّة) لقد انتشر نبأ صناديقكم الثلاثة في كل المدينة، وهيَّجها.. وقد شاع في المدينة أن خدابخش حي.. ليس لي علاقة بهذه الإشاعة.. ولكن اعلموا أن الحراس لا يريدون حربكم.. لأن آباءهم، أو إخوتهم، أو أبناءهم بينكم.. ولهذا (بعجز) فلا تجبرونا.

حيدر: إن كنت لا تريد أن تحاربنا فتعال قف في صفنا.

الحارس: ليس في قدرتي ذلك.

حيدر: فابدأ إذاً!

الحارس: (لمن خلفه) استعدوا!

مرجان: إني لأراه.. إنه واقف أمامنا جميعا.. إنه حي.

حيدر: استعدوا!

(يدخل حمال من مقدمة المسرح قد وضع على ظهره حملا ثقيلا.. ثم يخرج من الطرف الآخر)

- النهاية -

المؤلف في سطور

بهرام بيضائي

● ولد عام ١٩٣٨ م.

● روائي ومسرحي، يُعدّ من أعلام الأدب الإيراني في الخمسينيات.

● تميز بغزارة إنتاجه ووفرة عطائه، حيث كتب العديد من المسرحيات منها:

«الغريب والضباب - الغراب - ربما في وقت آخر - باشو الغريب الصغير- المسافرون... وغيرها»

● عدَّه النقاد في طليعة مؤلفي الفن المسرحي والتمثيلي في إيران، حيث كتب سيناريو لعدد من الأفلام، كما كتب عددا من الروايات التاريخية والأدبية تحوَّل الكثير منها إلى مسرحيات.

المترجم في سطور

د. محمد التونجي

- من مواليد الجمهورية العربية السورية عام ١٩٣٣.
- حصل على الدكتوراه في الأدب الفارسي والأدب العباسي.
- عمل أستاذا في جامعة حلب، كما عمل أستاذا للغة العربية في جامعة الكويت.
- ترجم عدة مسرحيات فارسية نُشِرَ بعضها في سلسلة (من المسرح العالمي) منها: مسرحية «في سبيل الحرية»، و «صحيفة الشيخ شرزين».

د. فكتور الكك

- مدير مركز اللغة الفارسية وآدابها، وأستاذ الحضارة العربية - الإسلامية، والأدب العربي المقارن بالجامعة اللبنانية.
- له العديد من المؤلفات والبحوث في ميادين مختلفة، وذلك باللغات العربية، والفارسية، والفرنسية، والإنجليزية.
- عمل صحافيا لسنوات طويلة، ورأس تحرير العديد من المجلات السياسية والثقافية.
- ترجم العديد من روائع الفرنسية والإنجليزية والعربية إلى اللغة الفارسية.



330

محكمة العدل في بلخ

اختار المؤلف في مسرحيته هذه «محكمة العدل في مدينة بلخ» مدينة بلخ مسرحا لنقده السياسي، وهي مدينة فارسية قديمة، تقع في منطقة خراسان شمال شرقي إيران، واليوم تقع في شمال أفغانستان، وجزء منها يقع في تركستان.

ومع أن القصة خيالية زمانا، فإنها واقعية تَلَمَّسها الكاتب بنفسه، فكتبها بقلمه، متخذاً الرموز وسيلة. ومن أبرز الرموز الشخصيات التالية: القاضي رمزا لفساد العدل، ورئيس المخفر رمزا للسلطة الظالمة، وكبير العسس رمزا للرشوة المتفشية، وحيدر رمزا للثورة، ومرجان، شخصية نسائية، رمزا لعفاف الشعب، وخدا بخش رمزا للشعب المقهور.

إن هذه المسرحية مأساة ساخرة ومؤلمة، أدخل فيها المؤلف مشاهد الفكاهة على أساس أن «شر البلية مايضحك». وقد كان ناجحاً جداً في ربط الدمعة بالبسمة، والضحكة بالألم، والنور بالظلام.

ردمك ٧ - ٠٥٩ - ٠ - ٩٩٩٠٦

ISBN 99906 - 0 - 059 - 7